العدد الثاني

المنهاج

مجلة إسلاميّة جامعة تصدر مرّة كلّ شهر

ربيع الأول 1418 هـ / جويلية 1997 م

بسم الله الرحمن الرحيم



المنهاج

مجلّة إسلاميّة جامعة تصدر مرّة كلّ شهر

العدد الثّاني - السّنة الأولى

مسؤول التّحرير: عبد الله سفيان

عنوان المراسلات :

AL - MENHAJ
BM BOX 7524 LONDON WC1N 3XX
U. K.

رب يسر وأعن

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على النّبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه أجمعين..

همّ الدّعوة في القلب يأسر صاحبه، وهمّ بيان الحقيقة سطوة تملك على المرء مشاعره، فهو على الدّوام يتقلّب مع كلّ خير، ويطوف مع كلّ قول، وهو قبل أن يكشف للنّاس عقله بمقاله أو بكتابه إنّما هو يصارع القول والحرف في نفسه ليختبر صدقه من كذبه، حقيقته من خداعه، فهو موصول القلق، دائم التّطلّع لليقين والإطمئنان، وهي حال أصحاب التّشوّف وطلاّب المعالي، وأمّا أولئك الرّاكدون على ما هم عليه، الذين استقرّت نفوسهم على الحال الذي هم فيه، فهم ظالمون للحقيقة مع ظلمهم لأنفسهم، لأنّه ما من درجة إلاّ وهناك فوقها درجات وصدق من قال:

نحو الأصيل أشدّ وجه حصاني	وإلى التّطلّع دائما أسفاري
ومن الزّمان الغرّ أركض هاربا	لا عشت إن قاد الذّليل إساري
وإلى جنان الخلد دعوة أحمد	خبر اليقين ولا حديث فطاري

(والفطاري هو الذي لا خير فيه ولا شرّ).

ونحن في هذه المجلّة وورقاتها القليلة محاطون بهموم كثيرة، أعلاها هو أن نصدق مع الحرف الذي نكتبه وأن نوفّي له حقّه علينا ، وحقّ الكلمة في الحياة أعظم الحقوق وأجلّها وأرفعها، فالمستهين بها مستهين بالحياة نفسها، محتقر لوجوده هو قبل وجود الآخرين..

وهمّ الكلمة، والخوف منها ليس بشيء قبل إخراجها للنّاس، وإنّما الهمّ الأكبر والخوف الأعظم بعد خروجها، لأنّها قبل خروجها هي مأسورة لك منقادة منك، لكن بعد خروجها هي التي تملكك وأنت تنقاد لها. فيا خيبة وخسارة أولئك الذين يفرحون بخروج كلماتهم للنّاس، ويا جهالة أولئك الذين يرقصون فرحا حين يرون أسماءهم على طرّة المقالات والكتب، فهم لا يعرفون تبعة ذلك كلّه، ولكن عذر غيرهم في البيان والإفصاح والقول والكتابة – مع علمهم بعظم ذلك كلّه – أنّهم يعيشون همّ البيان، ويرتفقون في جنباتهم شعور الواجب الملقى على عاتقهم بوجوب البيان والدّعوة، فهم يعيشون بين

الخوف من الكلمة التي أسرتهم بعد خروجها، وحقّها عليهم بالصّدق والوفاء، وبين همّ البيان وإشاعة الخير في النّاس، فهذا هو عذرهم وهذه مقاماتهم مع أنفسهم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

في واقعنا: آلهة وأوثان باطلة صنعها أهلها بأيديهم وبأوهامهم، ثمّ عكفوا على مصنوعاتهم يمدّونها من مالهم وجهدهم وعرقهم، كذبوا وكذبوا وكذبوا ثمّ صدّقوا أنفسهم، فحار الكذب على صاحبه وأفسد عليه عقله ومزاجه.

في حياتنا: أوثان إبليسيّة، ما كان لها أن يُنفخ فيها روح الكبر الشّيطانيّ، ونزعة جبروت الآلهة الباطلة إلاّ بنفخ عبّادها الذين أفرغوا من أرواحهم ودمائهم وأموالهم فيها. فالفرق بين الرّبّ الحقيقيّ وبين الوثن الكاذب؛ أنّ الرّبّ الحقيقيّ يخلق عابدَه، والرّبّ الكاذب يخلقه عابدُه. ولذلك فإنّ الصّراع إنّما هو مع العابد المشرك، فهو الذي صنع إلهه وهو الذي يعبده وهو الذي يدافع عنه، وهو الذي يحرق في معبده البخور، ويريق على أعتابه روحه ودمه، وأمّا الإله الكاذب فهو أدرى بنفسه أنّه يكذب على النّاس وعلى نفسه، بل ما كان له أن يكذب على النّاس حتّى كذب النّاس على أنفسهم فيه، ثمّ لعلّه بعد ذلك نسي نفسه أنّه أعجز من أن يملك نفسه لا أن يملك الآخرين.

فمشكلتنا ليست مع من تألّه كذبا فقط، ولو بقيت المعركة معه لكانت سريعة الحسم، لكن عظمت المشكلة وطال أمدها حين صار للإله الباطل عبّاد وسدنة.. حينئذ كان لا بدّ للمعركة أن تزداد ضراوة وتشتدّ الحدَقُ حُمرةً ويحمى الوطيس.

ونحن مع هؤلاء العبّاد في شغل وهمّ نفسيّ داخليّ، نحن بين همّ هدايتهم، وإخراجهم من سماديرهم وأوهامهم الذّاتيّة، وتعريفهم بالحقّ الغائب عنهم بسبب سكرتهم، وبين همّ إزالتهم لأنّه لا يمكن أن تسقط الآلهة الباطلة إلاّ بسقوط آخر رجل فيهم.

إنّ بيننا وبين سقوط الأوثان الكبيرة مفاوز، وقفارا، دونها تقطع الأعناق، ولا يمكن الوصول إليها إلاّ على جثث عابديهم، فماذا نصنع مع هؤلاء العبّاد؟!! لا يسمحون لنا بتطبيبهم، ولا يأذنون لنا بالكلمة من الرّحمة ليفيقوا من غفوتهم، ويريدون قطع أيدينا قبل أن نلوّح بثيابنا لننذرهم الجيش القادم إليهم، والمصير الذي يصير إليه كلّ النّاس، أنهربُ حينئذ تاركين وراءنا قومنا تعبث بهم الشّياطين، وتتلعّب بهم الأبالسة، وتمتطي أعناقهم سعالي الإنس والجنّ؟! أم لا بدّ من مجابهة الواقع، والدّفاع عن حقّنا بأن نُعرّف النّاس الفرق بين الإله الباطل والإله الحقّ، وأن نسعى بكلّ ما أوتينا من قوّة لإخراج النّاس من عبادة من صنعوه إلى عبادة من خلقهم؟! يا قومنا ماذا نصنع؟ أنرقّ لعابد الوثن الكلمة

لأنّنا من أجله قمنا، أم نَرِيشُ الكلمة لأنّ حربه علينا وعلى الأمّة كبيرة؟.

هذا همّ ثانٍ نعيشه مع كلماتنا التّي تملك علينا مشاعرنا لنخرجها، وتملكنا بعد إخراجها.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

في واقعنا فساد في الأفكار، وفي واقعنا ذهاب للحقوق.

كان النّاس يقولون: – هب أنّ بيتا كبيرا اضطرمت فيه النّيران، وكان سبب النّيران جهل أهل البيت بأصول الحياة، وطرائق إشعال النّيران للطّعام والتّدفئة.. فماذا ستصنع في وقتك ولحظك؟! أتشتغل بإطعام أهل البيت وإيجاد المأوى لهم، أم بتغيير أنماط تفكيرهم في استخدام أدوات الحياة؟!

وكان الجواب: – أطعمني أوّلا، المأوى أوّلا، إطفاء النّار أوّلا، وأمّا العقل والعلم والفهم وأنماط التّفكير ومنهج الحياة الصّحيح فمعنا بعد ذلك من الزّمن الكثير... أجّلوه.

فماذا كان؟!!

ضاع البيت، وفقدنا المأوى، واشتدّ الجوع، وبليت الثّياب، وفقدنا العلم والعقل.

قالوا: – الطّريق إلى الإسلام يمرّ عبر فلسطين، ففلسطين أوّلا.

قالوا: – الطّريق إلى الإسلام يمرّ عبر الوحدة الوطنيّة، فالوحدة أوّلا.

قالوا: – الطّريق إلى الإسلام يمرّ عبر حاجاتنا البشريّة: طعام، كساء، مأوى.. فحاجاتنا أوّلا.

قالوا: – الطّريق إلى الإسلام يمرّ عبر الإصلاح السّياسيّ، فالإصلاح السّياسيّ أوّلا.

هكذا مرّروا علينا أفكارهم تحت دعوى –الهدف الوسيط – وكانت النّتيجة: –

فلا ديننا يبقى ولا ما نُرقّع.

في أفغانستان قالوا: – التّحرير أوّلا، القتال أوّلا.. كمّموا الأفواه، إيّاكم أن تشتغلوا بإصلاح أيّ عيب، أو بنقد أيّ ظاهرة، أو بكشف أيّ نقيصة، أو بهدم أيّ وثن، أو بتعليم أيّ حرف، كلّ هذا سيأتي مستقبلا...

وشاءت إرادة الله أن لا يطيع كلّ النّاس هذا التّوجّه، فبُنيت المدارس، وأُهّل الشّباب (والحقيقة القليل من الشّباب)، وكان الصّراع حول الجيل القادم فيمن سيكسبه: – أهل الإسلام بالعلم والدّين، أم اللُّقطاء الذين تلقّفتهم معاهد الكفر لتربيتهم على عينها، وإرجاعهم إلينا يملؤون شواغر القرار والدّراسة؟..

والمعركة ستطول وسينتصر من يحسن القرار والتّوجّه.

في داخلنا همّ: - همّ الحدث اليوميّ، وذهاب الحقوق، ويشغل بالنا تغيّر الأرض بكفر أعداء الله، ويقضّ مضاجعنا أن يعيش اليهود سادة في فلسطين، وأن تتنازع الأمّة نزاع أهل الجاهليّة، وأن تسرق خيرات بلادنا، ويجوع أهلونا، وتعرى أعراضنا، وأن يلعب المرتدّون الطّواغيت بمقدّرات أمّتنا. وهذا لو شغلنا به لملأ علينا الزّمان بكلّ لحظاته.

وهناك همّ أكبر من ذلك كلّه: هو أن تعرف الأمّةُ الحقّ، وأن تبصر النّور، وأن تكشف الصّواب. ولو خُيّرنا بين إطعام رجل وبين أن يهتدي هذا الرّجل لاخترنا له الهداية. ذلك لأنّنا نملك يقينا علمناه من دين الله تعالى، ومن قراءة التّاريخ أنّ الحقّ يأتي بالأرض، وأنّ الهداية تأتي بالملك وعزّة الدّنيا والآخرة.

قال تعالى: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكّننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليُبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) [النور 55] .

ولذلك لا نقول: - المنهاج أوّلا، ومن اتّهمنا بأنّنا نقول هذا فقد اتّهمنا بباطل، بل نقول كما قال أئمّتنا: - الإيمان أوّلا - والإيمان قول وعمل ونيّة وسنّة - ومن لم يفهم هذه الكلمة فليتعلّم ثمّ... هداه الله.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

إنّ الصّراع بين الحقّ والباطل في هذه الأونة قد اشتدّ، وارتفعت درجة غليانه، وإنّه من القول الباطل والعقل الفاسد أن ندعو الشّباب المسلم للتّريّث أو للتّراجع، بل دورنا هو أن نزيد درجة الغليان وأن نرفع هذه المواجهة إلى أقصى مراتبها، فلا حياة للأمّة إلاّ بمزيد من الجهاد، ومزيد من الدّم، ومزيد من الوقود، فلا تراجع، ولا تريّث، ولا توقّف، بل الواقع لايسمح بذلك، وواجب الدّين لا يقبل ذلك منّا، فلا عزّة لنا إلاّ بامتلاء قلوبنا بحبّ الشّهادة، والرّغبة في الدّار الآخرة..

ورقاتنا هذه وإن كانت في الخلف، فإنّما هي لحماية تلك الطّلائع الإيمانيّة من خيانة أصحاب المصالح الموهومة، وأفكار أصحاب السّياسة الشّيطانيّة الخبيثة من أن يُوجدوا في عقول شبابنا و تجمّعاتنا ثغرات سبيل المجرمين، فينحرف السّبيل ونقع فيما وقع فيه أهل الجهالة من أهل البدع.

إنّ مسيرة الجهاد بحاجة إلى الصّيانة في كلّ لحظة، وإلى المراجعة بعد كلّ خطوة، وممّا يجب علينا أن نتعلّمه أنّ النّقد الذّاتي هو أساس ارتفاع العمل بصواب وأمان، وما من ظرف إلاّ وفيه ما يستحقّ المراجعة والنّظر.

إن كان لدينا من همّ في هذا الباب فهو همّ دفع المسيرة إلى الأمام بقوّة أكثر، وببتر تلبيس الشّيطان بالتّردّد أو التّراجع، لكن مع همّ الرّشاد في العمل، لئلاّ ينقلب الإسراع المشروع إلى سُعار مذموم، ولئلاّ ينقلب الوعي، وإحسان النّظر إلى ترك العمل، أو تثبيطه وإضعافه.

لقد كان من دعاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «اللّهمّ إنّي أسألك الثّبات في الأمر والعزيمة على الرّشد»..

« هاتان الكلمتان هما جماع الفلاح ، وما أُتيَ العبد إلاّ من تضييعهما أو تضييع أحدها، فما أُتي أحد إلاّ من باب العجلة والطّيش، واستفزاز البداءات له، أو من باب التّهاون والتّماوت وتضييع الفرصة بعد مُواتاتها، فإذا حصل الثّبات أولا والعزيمة ثانيا أفلح كلّ الفلاح.» (1).

وقد قيل: "فإذا وجد القائد نفسه في أرض ميدان تحيط به مواطن الخطر والهلاك، فالإستماتة في القتال واجبة والحالة هذه، للخروج من المأزق الذي خلّفته طبيعة هذا الميدان".

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

– هل نحن نشكو!!؟

الشّكوى ضعف وهروب..

ومن ملأ وقته بالشّكوى فقد ملأه بالباطل.

– هل نحن نجرّب!!؟

نعوذ بالله أن نجعل عقول النّاس وحياتهم مختبرَ تجربة، فالحياة أقصر من قضائها في التّجربة..

ثمّ كيف نجرّب ورحمة الله قد سبقت ببيان الهداية لنا في كلّ مسألة؟!

– هل نحن قلقون؟

---

(1) من كلام ابن القيّم رحمه الله في مفتاح دار السّعادة.

قلقنا هو لأنّنا نبصر، ونحبّ لكلّ النّاس نعمة البصر.

قلقنا لأنّنا نتعلّم، ونحبّ لكلّ النّاس أن يتعلّموا.

قلقنا لأنّنا نخاف الحساب يوم القيامة، ونخشى أن نضيّع الأمانة.

قلقنا لأنّنا نحاول أن تُبْصرَ الحقيقة كاملة في كلماتنا.

قلقنا لأنّنا نخاف أن تُسقط علينا ما تريد، لا ما نريد.

قلقنا لأنّنا نخاف أن يُلبِّس غيرنا مقصدنا عليك فتقرأ حروفنا مقلوبة فتعجم المهمل وتحرّك السّاكن.

فهل هذا قلق ممدوح؟!

أظنّ أنّك ستقول: إي نعم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

– هل أوراقنا جاءت لتقييدك حين قلنا لك: – الإيمان أولاً؟

الإيمان يا أخي يقول لك كيف تفكّ القيد الذي غلّظته الجهالة في أعناق الشّباب المسلم، وكيف تفكّ الأعراف البالية سواء كانت فكريّة أو إجتماعيّة.

الإيمان يعلّمك كيف تفكّ قيد فهم أهل البدع والضّلالات، ويجعلك حرّاً في عالم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

الإيمان يعلّمك كيف تكشف كذب من زعم الفهم وهو أجهل النّاس.

الإيمان يعلّمك كيف تثور على نفسك حين صنعت في داخلك أوهاما وصورا من الباطل فأطّرت نفسك خلالها.

الإيمان يعلّمك أنّ الإسلام ليس كهنوت العمائم البالية، ولا سفاهة المؤسّسات الرّسميّة العلميّة.

الإيمان يعلّمك كيف تمتلك عقلك وتُسلمه لأمر الله ورسوله، وينهاك عن تأجيره لغيرك ليفكّر عنك ويخطّط لك.

الإيمان ليس لتقييدك إنّما للعلم والجهاد.

والحمد لله رب العالمين

قراءة في النّبوءات

(المسيح الدّجّال)

بقلم الشّيخ/
أبي قـتـادة الفلسطيني

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين..

أهميّة هذا الموضوع ليست علميّة ذهنيّة فقط، بل هي تحمل جدّيتها لكونها خطيرة على واقعنا ومستقبلنا، فالطّوائف المفارقة لأهل السّنّة، والمنتسبة للإسلام لها تاريخ حافل بالدّم والجرائم معنا، وعقيدة اليوم امتداد لعقيدة الأمس، وما عمل تيمورلنك عندما دخل دمشق سنة 803 هـ، وقتل كلّ من فيها من المسلمين المنتسبين لأهل السّنّة (سوى عدد يسير من الأطفال) إلاّ بسبب عقيدة آمن بها، علّمه إيّاها صفيّ الدّين الأردبيلي (الشّيعي الصّوفي)؛ وهي أنّ قتل أهل الشّام قربة إلى الله، وقصاص من قتلة الحسين بن علي رضي الله عنه(1)، فالإيمان هو المؤثّر الأهمّ في حركة الإنسان، ودولة إسرائيل منشأها مبني على دين واعتقاد، وكذلك دولة إيران الشّيعيّة مبنيّة على اجتهاد؛ مصدره عقيدتهم في المهدي المنتظر وأنّه لابدّ له من نائب.. فالإهتمام الجادّ بعقائد النّاس والتّعرّف عليها مهمّ جداً، وهو سبيل قرآني في كشف عقائد الآخرين، وسبيل نبويّ كذلك فقد روى الإمام أحمد رحمه الله في مسنده أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لعديّ بن حاتم: «أسلم تسلم»، فقلت (عديّ بن حاتم): إنّي على دين، قال: «أنا أعلم بدينك منك»، قلت: أنت أعلم بديني منّي؟!! قال: «نعم» قال هذا ثلاثاً، قال: «ألست ركوسيّاً؟»(2) قلت: بلى، قال: «ألست ترأس قومك؟» قلت: بلى، قال: «ألست تأخذ المرباع؟»(3) قلت: بلى، قال:

(1) انظر أخبار تيمورلنك (تيمور الأعرج) في كتاب ابن عربشاه: (عجائب المقدور في أخبار تيمور).

(2) دين يجمع بين النّصرانيّة ودين الصّابئة.

(3) أي ربع الغنيمة.

«فإنّ ذلك لا يحلّ لك في دينك»(4).

فها أنت ترى علم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بدين رجل من أهل الجزيرة، وهو دين مغمور قليل الشّهرة، وهذا يدلّك على ما نحن فيه في هذا الباب.

ولأنّني أعتقد أنّ الطّوائف والفرق هي قنابل موقوتة في منطقتنا، وجزء كبير من معارك الغد ستكون معها، وهي إحدى خيارات الدّول الشّيطانيّة من يهود ونصارى في طرحها كبدائل عن الإسلام السّنّي الصّحيح، فإنّنا مدعوّون وبقوّة إلى فهم هذه الفرق عقديًا، والإطّلاع الواعي على السّبل العمليّة المتبنّاة في تطبيق هذه العقيدة، وليت الذين يزعمون الفهم والتّحليل والذكاء السّياسي أن يهتمّوا بدراسة آليّات عمل الطّوائف في فرض نفسها وتمرير نبوءاتها ومعتقداتها في داخل مجتمعاتنا بدل اهتمامهم بلوك الكلام الفارغ من كلّ إفادة، والذي مبناه على التّأمّل الذّاتي، والإستشراف الوهمي، والتّبجّح بمعرفة أسماء الكتب السّياسيّة.

جزء من معركة الغد سَتُفْرَضُ علينا من خلال هذه الفرق والطّوائف، ووجودهم في منطقتنا جزء من الإمتحان المفروض علينا قدريًا في سعي المسلم الجادّ لإقامة حكم الله في الأرض، ولعلّ بعض الإشارات التي وقعت في باكستان عند دعوة ضياء الحقّ المزعومة لتطبيق الشّريعة، ثمّ الحال الآن في أفغانستان مع الفرق البدعيّة، وواقع أهل السّنّة والجماعة في إيران ومحاولة إفنائهم وتغيير عقائدهم، ووضع الدروز في إسرائيل -في كونهم رأس الحربة العسكريّة والأمنيّة ضدّ المسلمين هناك- كافية لإيقاظنا من غفوة الجهل والتّزوير الذي مارسه قادة الحركات الإسلاميّة في إسقاط الفروق بين أهل السّنّة وبين الطّوائف المبتدعة الضّالّة، فهؤلاء القادة كانوا الممهّد الأوّل في إزالة الحواجز الدّينيّة ثمّ النّفسيّة عند أهل السّنّة من أهل البدعة، ثمّ مهّدوا الطّريق في تنصيبهم رؤوس أهل البدع أئمّة على الشّباب الإسلاميّ، ولذلك ليس غريبا أن نرى الإنهيارات المتواصلة بسقوط العديد من الشّباب المسلم السّنّي في حبائل هذه الفرق المنحرفة، وتبنّيهم لمعتقدات أهل البدع، وهؤلاء القادة في هذه الحركات يجهّزون شبابنا للإنخراط في معتقداتهم تحت دعوى وجود القواسم المشتركة بين أهل السّنّة وبين المبتدعة في وجود عدوّ خارجيّ واحد.. فالخطوة الأولى أنّ الشّباب يلتقي معهم ضدّ أمريكا وينتهي إلى سبّ أئمّتنا وخيارنا، وتكفير أبي بكر وعمر وعثمان وخيار الصّحابة رضي الله عنهم، وهذا واقع منتشر انتشارا واسعا، فإنّ هناك الكثير من المناطق السّنّيّة والتي كانت مغلقة عليهم ولا

---

(4) المسند 4/ 378 و دلائل النّبوّة للبيهقي 5/ 342، انظر ابن كثير 5/63-64.

يوجد فيها غيرهم قد بدأ تحولها وبصورة مذهلة إلى عقائد التّشيّع الرّافضيّ؛ مثل المغرب العربي وسوريا الشّام وفلسطين ومصر والسّودان وماليزيا وأندونيسيا، ومناطق متعدّدة من العالم الإسلامي.

فالإهتمام بهذا الموضوع يجب أن يلقى عناية من كلّ مسلم مخلص غيور على السّنّة وأصحابها.

أثر النّبوءات في الأديان على أتباعها

دارسو حضارت التّاريخ تبيّنوا أنّ أيّ حضارات كان مبناها الأوّل على أسس دينيّة وإيمانيّة (5) يقول برقسون (إنّه وإن وجدت حضارات بغير بناء وعمار إلاّ أنّه لم توجد حضارة بغير معابد)، ويثبت هذا أنّ حركة الإنسان لا يمكن أن تنطلق إلاّ من أساس إيماني، سواء كانت العقيدة حقيقة أو وهما، صحيحة أو باطلة، وهذا القول ليس تقليلا للجوانب الإنسانيّة الأخرى كحاجته للمال والطّعام وحبّ الغلبة والسّيطرة، ولكن لا يمكن أن تعطي هذه الأمور آثارها في حركة الإنسان إلاّ إذا اكتست بثوب الدّين والإيمان، ولذلك كان قوّاد المعارك دائما بحاجة إلى معتقد ليدفعوا النّاس إلى محاربة خصومهم، أو الإنتقال إلى السّيطرة خارج الأرض، وكلّ المحاولات التي قامت لإلغاء التّفسير الدّيني لحركة التّاريخ باءت بالفشل(6)..

وهناك اتّجاه قوي لترسيخ مبدأ الصّراع على أساس علماني، وأنّ الحياة قد استقرّ أمرها على تبنّي الحريّة الإنسانيّة -اللّيبراليّة- في كلّ شؤون الدّنيا ولا دور للأديان فيها، وقد انتهى عصر العقائد -الإيديولوجيا- ومن هذه الكتب التي أحدثت أصداء واسعة في هذا الإتّجاه كتاب الياباني الأمريكي فرانسيس فوكوياما المسمّى ‹نهاية التّاريخ›، الذي يعلن فيه سقوط العقائد (ويستثني الإسلام ببعض بقاياه الدّينيّة والخلقيّة) والإنتصار النّهائي للّيبراليّة - حريّة الإختيار في السّياسة والإقتصاد والإجتماع- وقد صدر العديد من الكتب التي تنعى العقائد والتّمسك بالهويّة منها: كتاب ‹النّفس المبتورة - هاجس الغرب في مجتمعاتنا› للمستغرب الإيراني داريوش شايغان، وله في هذا الإتّجاه نفسه

---

(5) مثلما قال توينبي و.وول ديورانت.

(6) التّفسير الدّيني لحركة التّاريخ هو أحد الإمتحانات المهمّة اليوم للعقليّة المسلمة في البحث والدّراسة، وذلك من أجل البحث عن هذه العلّة في الماضي والحاضر، وهو مهمّ جداً في فهم المسلم العالم لقضايا العالم وتفسير القرآن الكريم.

كتاب ‹أوهام الهويّة›، وهذان الكتابان يمثّلان صورة نموذجيّة لجهود المستغربين في إسقاط الهويّات في داخل مجتمعاتنا، ومن المؤسف أنّ المعمّمين في داخل إسلامنا يمارسون – صوت سيّده – في ترديد شعارات تتبنّى هذه المعاني مثل قولهم: – إنّ الحرب بيننا وبين اليهود ليست دينيّة ولكنّها حرب على حقوق ذاتيّة.. فحسبنا الله ونعم الوكيل..

ثمّ نحن نرى أنّ العقائد لها الدّور الأكبر في التّحالفات والتّقارب بين الدّول والشّعوب على الرّغم من تبنّي العالم اليوم العلمانيّة واللّيبراليّة، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في تاريخ البشريّة ولكنّي سأقتصر هاهنا على ما يخصّنا في هذا الباب: –

أ – دولة إسرائيل:

دولة إسرائيل تقوم على أساس ديني إيماني، وكذلك أهمّ الأحزاب السّياسيّة والدّينيّة فيها ترتكز على اجتهادات دينيّة عندهم، وممّا ينبغي التّذكير به أنّ مناحيم بيغن بعد اعتزاله السّياسة تحوّل إلى نبيّ يهودي (حبر من أحبارهم) وفسّر بعض نصوص التّوراة، وأدخلت هذه التّفسيرات في التّلمود عندهم، ومعلوم أنّ بيغن أصيب بحالة نفسيّة سيّئة بعد معاهدة كامب ديفيد، لأنّه اعتبر ما قام به يخالف النّبوءات التّوراتيّة، وذلك بوجوب التّقدّم إلى الأمام وليس التّراجع، هذا مع عظيم ما استفادته إسرائيل من هذه المعاهدة المشؤومة (6)، ولكن مجرّد التّراجع ولو الجزئي يخالف ما يؤمن به اليهودي اليوم من أنّ أعداءهم يجب أن يولّوا الأدبار دائما كما تقول التّوراة: «تنطقني قوّة القتال وتصرع القائمين عليّ تحتي وتعطيني أقفية أعدائي ومبغضيّ فأفنيهم، يتطلّعون فليس من مخلص، إلى الرّبّ فلا يستجيبهم، فأسحقهم كغبار الأرض، مثل طين الأسواق أدقّهم وأدوسهم، وتنقذني من مخاصمات شعبي وتحفظني رأسا للأمم» (7). وقد كان بيغن يعتقد في موشي دايان أنّه الملك المنتظر(8) وكان مفتونا به، ولكن سقط هذا الإعتقاد في دايان بعد الخسارة الجزئيّة في حرب 73 ضدّ العرب (9)، وللذّكر فإنّ النّصّ المتقدّم من التّوراة

---

(6) ولأوّل مرّة في تاريخ تجمّع اللّيكود يصاب التّجمّع بالإنقسام وخروج بعض الأحزاب الدّينيّة منه وذلك بعد التوقيع على الإتّفاق بين بيغن والسّادات.

(7) صموئيل الثّاني، الإصحاح الثّاني والعشرين، سطر 40 فما بعده إلى 45.

(8) سيأتي الكلام حول المخلّص (ملك اليهود).

(9) ومع ذلك بقي مولعا به ولذلك عرض عليه وزارة الخارجيّة عندما استلم رئاسة الوزراء =

قامت مجموعات نصرانيّة سبتيّة وطوائف يهوديّة بتوزيعه في الغرب بعد حرب 1967م، لتثبت صحّة التّوراة ولإثبات ربّانيّة دولة إسرائيل، وأنّها من أبنيته التي يجب أن يدعمها المؤمنون بها. ومن النّبوءات التي ترتكز عليها الدّولة اليهوديّة في إقامة الملك الكامل من النّيل إلى الفرات هو وجوب الحركة خطوة خطوة وليس دفعة واحدة، ففي سفر التّثنية تقول التّوراة: «ولكن الرّبّ إلهك يطرد هؤلاء الشّعوب من أمامك قليلا قليلا، لا تستطيع أن تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البريّة» (10). والدّولة اليهوديّة تسير باتّجاه قوي إلى سيطرة الأصوليّة اليهوديّة هناك، وذلك بعد انتخاب حزب اللّيكود بقيادة نتنياهو لرئاسة الحكومة. وقد استلم اليهود المتديّنون أهمّ مراكز القوى في الدّولة.

أمّا الإرتباط بين اليهود في دولة إسرائيل وبين النّصارى البروتستانت في أمريكا فهو ارتباط مبني على نبوءات توراتيّة ويراجع في ذلك كتاب ‹النّبوءة والسّياسة› فهو خير كاشف لحقيقة هذه العلاقة، وأنّ إيمان مراكز القرار في أمريكا بعقيدة هرمجدّون (جبل المجد)(11) هو الدّافع الذي جعل قادة أمريكا من أشدّ النّاس وفاءً لهذه الدّولة المسخ، هذا بالنّسبة إلى النّصارى السّبتيّين، وقد زادت الصّورة وضوحا عندما تولّى اليهود الأصلاء أقوى المراكز في الحكومة الأمريكيّة، فوزارة الخارجيّة بيد أولبرايت اليهوديّة، ووزارة الدّفاع بيد كوهين اليهودي، وكذلك وارن ميلر مسؤول التّخطيط السّياسي في الخارجيّة الأمريكيّة، ومارتن أنديك مسؤول الشّرق الأوسط في مجلس الأمن القومي ومرشّح مساعد لوزيرة الخارجيّة في شؤون الشّرق الأوسط، ومبعوث الحكومة الأمريكيّة للشّرق الأوسط دينيس روس كلّهم من اليهود الأصلاء.

وأمّا مجلسي القرار -مجلسي الشّيوخ والكونغرس- فقرارهما الأخير باعتبار القدس عاصمة أبديّة لإسرائيل هو قرار يهوديّ أشدّ من قرارات اليهود العلمانيّين.

= رغم أنّ دايان كان في حزب العمل (المعراخ) وبيغن زعيم تجمّع اللّيكود، وقد ذكر دايان قصّة هذه القضيّة وما رافقها من أحداث في كتابه ‹أبيقى السّيف الحكَم› فليراجع، وفيه بعض القضايا المهمّة الأخرى، منها أنّه يكشف بدايات اللّقاءات السّريّة بينه وبين بعض حكّام الرّدّة في بلادنا كملك المغرب الحسن الثّاني.

(10) انظر الإصحاح السّابع /آية 22.

(11) لمعرفة حقيقة هذه العقيدة يراجع الكتاب المذكور، وللأسف لم يصدر أيّ كتاب إسلاميّ يعالج هذه الظّاهرة سوى ما كتبه الشّيخ الدّكتور سفر الحوالي في محاضرته الّتي فرّغت كتيّبا ‹القدس بين الوعد الحقّ والوعد

بـ - جزر الطّوائف في العالم الإسلامي!!

الطّوائف المفارقة لأهل السّنّة والجماعة تعتمد في وجودها وحركتها على النّبوءات الدّينيّة في كتبها، ولعلّه يجب علينا أن نذكر ولا ننسى إيمان الدّروز(12) في وقت من الأوقات أنّ جمال عبد النّاصر هو الحاكم بأمر الله الفاطمي، فالدّروز يعتقدون أنّ الله جلّ وعلا في أدوار زمنيّة معيّنة ينزل عن عرشه ويظهر بصورة إنسان (يتأنّس)، وقد كان كمال جنبلاط الدّرزي(13) ممّن يعتقدون في عبد النّاصر ذلك، وقارئ مقدّمة كتاب ‹جمال عبد النّاصر = من حصار الفالوجة إلى الإستقالة المستحيلة› يستطيع أن يلمح هذه العقيدة في طيّات كلامه، وللذكر فإنّ جنبلاط هو الذي أعطى للعقيدة الدّرزيّة فعاليّتها والكثير من تفسيراتها، حيث ربطها بعقائد الهنود وأديان الشّرق ومذاهب الإشراق الغنوصيّة، وهو بنفسه الذي كتب ‹المصحف المنفرد› والذي كان يعتقد الدّروز وجوده مع عدم إطّلاعهم عليه على مدار تاريخهم، حتّى أظهره جنبلاط من كتابته هو بعد تتريبه. والدّروز بسبب

---

(12) هناك خلاف حول أصل اسم الدّرزيّة، فالأكثرون على أنّ انتسابهم إلى محمّد بن اسماعيل الدّرزي (نشتكين)، وهو أحد الرّجال الأوائل الذين دعوا إلى ألوهيّة الحاكم بأمر الله الفاطمي مع حمزة بن علي الزّوزني، مع أنّ حمزة هذا قد كفّر الدّرزي بعد مخالفته في إظهار عقيدتهم وقد أمره بالإسرار، والحاكم هو الخليفة السّادس في الدّولة العبيديّة تولّى الخلافة وعمره 11 سنة، وحكم مصر من 386 إلى 411هـ، وهناك اتّجاه إلى أنّ النّسبة هي للجنرال درو الصّليبي، الذي هزمه صلاح الدّين سنة 1190م ثمّ لجأ إلى وادي التيم (جبل الدّروز) فحماه أهلها فنُسبوا له، وجَمْع درو بالإفرنجي دروز، وهي من إطلاق خصومهم. (انظر كتاب عبد الله النّجّار –سفير لبنان – مدير معارف جبل الدّروز سابقا– وهو أوّل كتاب يكشف شيئا من عقائد الدّروز من رجل درزي ، والكاتب لقي القتل جزاء عمله في أمريكا الجنوبيّة وذلك بعد تلقّيه التّهديدات من بني قومه الدّروز، وقد استنفر كمال جنبلاط مثقّفي الدّروز للرّدّ عليه فألّفت عدّة كتب منها كتاب سامي كرم ‹أضواء على مسائل التّوحيد› وقد قدّم له كمال جنبلاط بمقدّمة تعادل نصف الكتاب، وكتاب ‹الدّروز في التّاريخ› للدّكتورة نجلاء أبو عز الدّين، وكان عجّاج نويهض قد كلّف بذلك ولكنّه اعتذر عن الإستجابة ثمّ ألّف كتابا لا قيمة له في تعريفنا بمذهب الدّروز عنوانه ‹الأمير السّيّد›، وقد كان سبب تأليف النّجّار كتابه أنّ المغتربين الدّروز صاروا يبحثون عن عقيدتهم ودينهم فلا يجدون من يعرّفهم به فتوجّهت الرّسائل إلى أئمّتهم شيوخ العقل طالبة العون فلم تتمّ الإجابة حتّى هدّد الدّكتور عسراوي قائلا:– إن لم تتزحزح مشيخة العقل عن موقفها، لأضعنّ دينا جديدا ولو لدروز أمريكا وحدهم. وبالفعل ألّف كتابا باللّغة البرتغاليّة سمّاه ‹الدّرزيّة› سدّ به ثغرة عند دروز المهجر› ولكن لم يرض عنه مشايخ العقل عند الدّروز.

(13) زعيم الدّروز السّياسي في لبنان ثمّ تولّى الزّعامة بعد وفاته ابنه وليد، ويوجد الآن صراع بين آل جنبلاط وبين آل أرسلان على زعامة الدّروز، وللذّكر فإنّ آل أرسلان كانوا من أهل السّنّة وتأثّروا من عقيدة مواليهم آل جنبلاط الدّروز، حيث كان آل جنبلاط خدما وموالي عند آل أرسلان ثمّ انقلب الحال وصار آل جنبلاط هم السّادة بعد أن غيّروا عقيدتهم، وللذّكر فقد كانت زوجة كمال جنبلاط الدّرزي ابنة شكيب أرسلان وهي أمّ وليد جنبلاط..

اعتقاد عندهم يدخلون في خدمة الدّولة اليهوديّة ضدّ المسلمين هناك، فإنّ من مبادئ دينهم هو خدمة الظّاهر والتّذلّل له وإظهار موافقته.

أمّا النّصيريّون فما تسليمهم الجولان في سوريا لليهود إلاّ بناءً على نبوءة في كتبهم، فقد كان وزير الدّفاع في تلك الفترة إبّان حرب 1967م النّصيري حافظ الأسد، وقد ذكر ذلك رئيس وزراء الأردن يومها سعد جمعة(14).

واستغلال السّياسيّين للنّبوءات الكاذبة عند العامّة من جهلة المسلمين وغيرهم أمر معروف ومستشر في مجتمعاتنا بحجم كبير، ففي حرب الخليج انتشر بين النّاس في العالم العربي حديث "صادم"، وهو الشّخص الذي سيقضي على أعداء الأمّة، وقد وزّعت في الأردن منشورات جاء فيها أنّ في كتاب الجفر للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث: «يجتمع بنو الأصفر والفرنجة ومصر في البيداء على رجل اسمه صادم، ولا يرجع منهم أحد. قيل: – متى يا رسول الله؟ قال: بين جمادى ورجب وترون فيه العجب».

ثمّ ذكروا رواية ثانية وهي: «يجتمع الرّوم والبرابرة والإفرنجة، ومعهم المصريّون على رجل اسمه صادم، فيبيدهم في بيداء، ولا يرجع منهم أحد. قيل: متى يا رسول الله؟ قال:– بين جمادى ورجب وترون فيه العجب»(15).

وهذا الكلام وإن بدا سخيفا الآن بعد انتهاء أحداث الخليج ولكنّه كان في وقته يعمل عمل السّحر، فهذا السّخف نشرته جريدة إسلاميّة(!!) في الأردن وبعض الجرائد العلمانيّة، بل صرّح يومها نائب برلماني من الإخوان المسلمين في أحد المساجد بأنّ هذا الحديث يشهد ويدلّ على صواب وإسلام صدّام وأنّه المنصور في المعركة.

وفي تلك الأثناء التقيت بدكتور في كلّية الشّريعة وجرى بيننا حوار حول قضيّة الخليج وما صارت إليه من دمار للأمّة، فأقسم لي بالأيمان أنّ صدّاماً سينتصر، وأنّ معركة أخرى ستقوم بعد أيّام بين صدّام وأمريكا، وسيدمّر صدّام أمريكا ولمّح إلى هذا الحديث.. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

ومن النّبوءات التي يعتقدها بعض متصوّفة أهل السنّة وجهلتهم هو اعتقاد مشايخ جماعة التّبليغ أنّ المهدي المنتظر هو الذي سيتولّى قيادة الجماعة بعد وفاة شيخهم إنعام الحسن (حضرة جي!!)، وهذا بناءً على نبوءة في كتاب السّحر: ‹شمس المعارف الكبرى›

---

(14) انظر كتابه ‹المؤامرة ومعركة المصير›.

(15) هناك كتاب منتشر في الأسواق اسمه الجفر، منسوب إلى الإمام جعفر الصّادق فيه رموز سحريّة ونبوءات مستقبليّة، والجفر الأبيض أحد الكتب التي يعتقد الشّيعة أنّها من خصوصيّات المهدي المنتظر كما سيأتي، والكتاب المطبوع فيه الأقوال المتقدّمة لكن فيه كلمة صارم (بالرّاء) وليس صادم (بالدّال) ولكنّها حرّفت لتلائم الواقع.

فقد ذكر البوني فيه أنّ الإمام جعفر الصّادق أخبر في جفره نبوءات الزّمن القادم وهي كثيرة جداً ثمّ قال تحت عنوان: (فصل في معرفة الجفر الذي ذكره الإمام جعفر الصّادق رضي الله عنه) : وذلك أسماء والقصد بهذه الأسماء إنّما هو عددها ومعرفة تكسيرها في ضرب المبادئ بالأصول، ولم أوضّح لك أكثر من ذلك، وإنّما ذكرت هذه الرّموز ليكمل كتابي هذا ويفوق غيره من الكتب، والطّريق إلى مكّة كما بيّنّا، وهذه الرّموز الجفريّة الموضعة الأصليّة بسم ال ل ه الرحمن الرحي م شعيب سميع شيت حرقيل قابيل طوس دمياط نابلس طرابلس طرسوس حلب حمص ودمشق تفارقا احر مواد محمّد أحمد موسى إلياس يوسف محمّد المهدي الملك المبين الله وكيل... ثمّ قال في آخرها وكلّ هذه قواعد كلّيّة ولو أبصرت كلّ فتنة أو واقعة وقعت لوجدتها على هذا الحساب وهذا المعنى، لا يختلف أبدا(16) .اهـ.

وتفسيرهم لهذه النّبوءة أنّ: إلياس هو الشّيخ محمّد إلياس الكاندهلوي مؤسّس جماعة التّبليغ في الهند، ثمّ يوسف وهو الشّيخ محمّد يوسف ابن المؤسّس وخليفته في إمارة الجماعة، ثمّ محمّد وأنّه الشّيخ إنعام الحسن وبعده يأتي المهدي الذي ينتظرونه.

ثمّ توفّي إنعام الحسن ولم يظهر المهدي، فرفضوا تعيين أمير بدلا منه تصميما على هذا الإعتقاد، ولذلك عيّنوا مجلسا استشاريًا جماعيًا مكوّنا من مجموعة من مشايخهم خلفا لإنعام الحسن، وذلك انتظارا للمهدي الصّوفي التّبليغي المنتظر(17).

ولهم ممارسات كثيرة غير هذه تدلّ على هذا الإعتقاد لا حاجة لذكرها هنا.

حقيقة المنتظر

من الثّابت عند أهل السّنّة أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم بشّر بوجود رجل من أهل بيته سيخرج في آخر الزّمان وهو من علامات القيامة الكبرى لقبه المهدي، وعلى يديه سينتصر أهل الإسلام على خصومهم من يهود ونصارى وغيرهم، وهو رجل سيملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجورا. وقد أخبر النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن وجود علَم

(16) ص 342/ 343 والكلام الذي نقلناه أخذناه بالحرف فلا يظنّنّ أحد أنّه خطأ مطبعيّ.

(17) المهدي فتنت به أقوام من المنتسبين لأهل السّنّة، فقد كان جماعة من أئمّة الجيش الأردنيّ في دائرة الإفتاء العسكري يعتقدون أنّ الأمير الحسن (الطّاغوت شقيق الطّاغوت الأردني) هو المهدي المنتظر، والمستقبل سيكشف لنا عدّة (مهديّين)، وعلى الأقلّ فأنا أعرف إلى الآن أربعة، وخلال تجوالي دعيت أكثر من مرّة للتّعرّف من قبل بعضهم على المهديّ المنتظر الحقيقي، وربّما لا توجد طائفة صوفيّة أو متأثّرة بالصّوفيّة إلاّ وتعتقد أنّ المهدي من رجالها وأنّه يربّى عندهم.

آخر من أعلام السّاعة ألا وهو المسيح الدّجّال، فحديثنا هنا عن المسيح الدّجّال، وأنّ ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن وصف الدّجّال هو عين حقيقة الرّجل الذي ينتظره الشّيعة الرّوافض ويسمّونه المهدي، وهو كذلك نفس الرّجل الذي ينتظره اليهود ويعتقدون فيه الخلاص والذي سيرفع أمرهم.

فنحن أمام حقيقتين تختلط فيهما الأسماء، هما:-

الحقيقة الأولى:- المهدي عند أهل السّنّة والجماعة- وليس هو عيسى بن مريم عليه السّلام، الذي سينزل في آخر الزّمان في زمن المهدي أثناء قتاله مع الدّجّال.

الحقيقة الثّانية:- المهدي عند الشّيعة الرّوافض، والمسيح الدّجال عند أهل السّنّة، وملك اليهود المنتظر وأنّ أوصاف هؤلاء الثّلاثة تنطبق على شخص واحد فهي ثلاثة أسماء لشخص واحد.

والحديث لن يكون عن مهدي السّنّة، ولا عن عيسى عليه السّلام، ولكن سيكون في الحديث عن الحقيقة الثّانية إن شاء الله تعالى.

من هو مهدي الشّيعة الرّوافض؟

موعظة

- ارتباط المذهب الشّيعي بالعقيدة اليهوديّة اكتشافه ليس وليد اليوم ولا هو من إفرازات الفكر التّآمريّ الذي صار مصدر هزء عند أكثر النّاس، بل إنّ الأئمّة الأوائل قد كشفوا هذا الإرتباط وتحدّثوا عنه، وذلك قبل وجود تهمة الفكر التّآمري، والتي صارت كافية عند البعض في إسقاط أيّ معلومة أو أيّ استنتاج، وكأنّ معاداة أعداء الله تعالى من يهود ونصارى وأذناب لهما قد توقّفت عند زمن شعارات الإنسانيّة، ولعلّ الهجوم الذي لاقاه كتاب ادوارد سعيد ‹الإستشراق› هو نوع من هذا الهجوم لإسقاط المعلومات عن النّفسيّة الحاقدة والنّيّة الخبيثة عند المستشرقين في دراستهم لأمّتنا، بل لقد صار التزام الرّجل بمركز دراسات ما وهو جزء من دولة أجنبيّة لا يُعدّ جريمة وكفرا، وذلك كلّه تحت دعوى العلميّة المجرّدة أو العلم من أجل وجه العلم، بل وتحت دعوى المصالح المشتركة لم يعد يستنكف أحد أن يؤجّر نفسه في عمل إعلاميّ لدولة كافرة، ويرى في هذا قمّة الفذلكة السّياسيّة.

الإمام الشّعبي رحمه الله، (عامر بن شراحيل المتوفّى سنة 104هـ ثقة تابعيّ ومن أهل

الكوفة)، كان هذا الإمام خشبيًا -والخشبيّة طائفة من الشّيعة كانت ترفض القتال بالسّيف، ويحمل أتباعها سيوفا من خشب- ثمّ تاب من بدعتهم، وكان من أخبر النّاس بهذه الطّائفة، وقد حدّث أصحابه عن صلة العقيدة بين الشّيعة وبين اليهود(18). قال مالك بن مغول:- قلت للشّعبي: - ما ردّك على هؤلاء القوم، وقد كنت منهم رأسا؟ قال: - رأيتهم يأخذون أعجازا لا صدور لها، ثمّ قال لي: - يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم أو يملؤوا لي بيتا ذهبا أو يحجّوا إلى بيتي هذا على أن أكذب على عليّ رضي الله عنه لفعلوا، ولا والله لا أكذب عليه أبدا. يا مالك إنّي قد درست الأهواء فلم أر فيها أحمق من الخشبيّة، فلو كانوا من الطّير لكانوا رخما، ولو كانوا من الدّواب لكانوا حُمُراً... يريدون أن يغمصوا دين الإسلام كما غمص بولس بن يوشع ملك اليهود دين النّصرانيّة... منهم عبد الله بن سبأ يهودي من يهود صنعاء... يا مالك: - إنّ محنتهم محنة اليهود (19).

وقد حاول بعض الشّيعة المعاصرين وهو مرتضى العسكري في كتاب له سمّاه ‹عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى›(20) أن ينفي وجود هذه الشّخصيّة، وذلك بتعليق جميع الرّوايات الواردة في حقّ عبد الله بن سبأ اليهودي على راو ضعيف وهو سيف بن عمر الضّبّي التّميمي، وقد استخدم منهج أهل السنّة في تضعيف سيف بن عمرو من أجل عقيدته، والرّدّ على مرتضى العسكري له ذيول مطوّلة ولكنّي سأكتفي هنا بذكر رواية واحدة لا مطعن فيها من جهة سندها لإثبات وجود عبد الله بن سبأ اليهودي، وهي رواية صحيحة على منهج المحدّثين الصّارم، فكيف على منهج المؤرّخين المتسمّحين في هذا الباب، وليست هي من طريق سيف هذا.

قال أبو طاهر الذّهلي: حدّثنا محمّد بن عبّاد قال: حدّثنا سفيان قال: حدّثنا عبد الجبّار بن العبّاس الهمداني عن سلمة بن كهيل عن حُجَيّة عديّ الكندي قال: رأيت عليّا عليه السّلام وهو على المنبر وهو يقول: - من يعذرني في هذا الحميت(21) الأسود الذي

---

(18) لم أشأ أن أذكر الباحثين المتأخّرين الذين قالوا بهذا الإرتباط لأنّ قولهم يعتمد على الدّراسة وهي وإن كانت طريقة صحيحة للإثبات إلاّ أنّني آثرت أن أتكلّم عن رجل عاصر التّشيّع الأوّل وخبره بنفسه وهو ثقة عند أهل السنّة والجماعة.

(19) انظر منهاج السنّة النّبويّة لابن تيمية 1/29-30.

(20) طبع في مجلّدين ووزّع في مناطق متعددّة مجّانا وزعم سامي البدري من قم في كتابه ‹شبهات وردود› أنّ هناك أجزاء أخرى عند المؤلّف (ص13-14) وقد ردّ هذه دعوى (عدم وجود ابن السّوداء) الشّيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء الشّيعي الإمامي (متوفى سنة 1373هـ) في كتابه ‹أصل الشّيعة وأصولها› ص179 وما بعدها.

(21) الحميت: المتين.

يكذب على الله عزّ وجلّ وعلى رسوله صلّى الله عليه وسلّم -يعني ابن السّوداء- لولا أنّه لا يزال تخرج عليّ عصابة تنعى عليّ دمه، كما ادُّعيَت عليّ دماء أهل النّهر، لجعلت منهم ركاما(22).

مهدي الشّيعة المختفي في سرداب في سامرّاء

الشّيعة الإثنى عشريّة (تمييزا لهم عن الشّيعة الزّيديّة وعن الشّيعة الإسماعيليّة السّبعيّة)يقولون أنّ الإمامة هي ركن الإسلام العظيم، وأنّ الإمامة ثبتت بالنّصّ في عليّ وبنيه رضي الله عنهم إلى اثني عشر إماما هم: عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين (ابناه) ثمّ في ولد الحسين البكر(23) وهو علي السّجّاد (زين العابدين) ثمّ ولده البكر محمّد الباقر ثمّ ولده جعفر الصّادق ثمّ ولده الكاظم ثمّ ولده عليّ الرّضى ثمّ ولده محمّد الجواد ثمّ ولده عليّ الهادي ثمّ ولده الحسن العسكري ثمّ آخرهم وهو المهدي المنتظر محمّد بن الحسن العسكري..

ومحمّد المهديّ هذا يقولون أنّه ولد سنة 255هـ، وبسبب خوف أهله عليه من حكّام زمانهم ذهب وتخفّى في سرداب في مدينة سامرّاء (مدينة العسكر) وهو صغير، فكانت غيبته الصّغرى التي كان من خلالها يرسل إرشاداته وأوامره ونواهيه إلى أتباعه عن طريق رسل، ثمّ انقطعت آخر الرّسل سنة 329هـ أي وعمر المهدي الشّيعي 74 سنة هجريّة، ثمّ بدأت الغيبة الكبرى، وهو مازال في سردابه إلى اليوم، ينتظر الشّيعة خروجه ويدعون عند ذكره وفي احتفالاتهم أن يعجّل الله فرجه، وقد ربطوا أعمال الإمامة العظمى به حتّى يخرج، ابتداءً من صلاة الجماعة إلى الجهاد وإقامة الحدود.

هذا هو معتقد أغلب الشّيعة الإثني عشريّة فيه وقد خالف في ذلك البعض قديما وحديثا، فممّن رفض فكرة المهدي العسكري الشّيعي عندهم من المعاصرين أحمد الكاتب

---

(22) حديث رواه الدّارقطني، انتقاه من حديث أبي الطاهر محمّد الذّهلي القاضي رقم157 .

(23) موضوع انتقال الإمامة في البكورة من الذّكور عند الشّيعة الاثني عشريّة الرّوافض له اتّصال بعقائد اليهود، فقارئ التّوراة يجد بوضوح تنازع الأنبياء، وحسدهم لبعضهم بعضا في سرقة البكورة وكلّ في البكورة سرّا ونورا في انتقالهما من الأب لابنه. وقد تحطّمت البكورة في الأئمّة عند الاثني عشريّة في موطنين، الأوّل: انتقالها من الحسن إلى أخيه الحسين وليس لابنه، والثّانية انتقالها من جعفر إلى ابنه موسى الكاظم وليس لابنه الأكبر اسماعيل، وهو الذي سبب انشقاق السّبعيّة الاسماعيليّة عنهم، وللرّوافض تأويل طريف في الموطنين، ودليلهم أنّ الإمام هو الابن البكر هو ما رواه الكليني عن عليّ بن موسى أنّه قال: - للإمام علامات منها أن يكون أكبر ولد أبيه. (الأصول من الكافي 1/ 284، باب الأمور التي توجب حجّة الإمام عليه السّلام).

الذي بيّن من خلال نشريّته الشّورى الصّادرة في لندن أنّ الحسن العسكري مات ولم يعقّب، وأنّ المهدي لم يولد قطّ وأنّ اعتقاد الشّيعة بوجود هذا الإمام مبناه على التّجويز العقلي فقط، ولا حجّة لهم في أيّ مستند خبري في ذلك .. وقد ردّ عليه أصوليّو الشّيعة ردودا كثيرة.. وقوله هذا هو قول الكثير من قدماء الشّيعة الأوائل حيث أنكر بعض معاصري الحسن العسكري أن يكون قد عقّب ولدا، بل إنّ أخا الحسن العسكري واسمه جعفر من هؤلاء الشّهود النّافين، وجمع شهادات لجيرانه أنّه مات ولم يعقّب، وقد سمّى الشّيعةُ جعفراً هذا بجعفر الكاذب، تمييزا له عن جعفر الصّادق.

واعتقاد الشّيعة الإثني عشريّة بوجود المهدي وبرجعته مبني على روايات منسوبة في كتبهم لأئمّتهم منها ما نقلوه عن جعفر الصّادق قوله: – «ليس منّا من لم يؤمن بكرّتنا -أي رجعتنا– ويستحلّ متعتنا.»(24) .. وهو من ضروريّات المذهب عندهم حتّى قال الحر العاملي: – «فلا يظهر منهم مخالف يعتدّ به من العلماء السّابقين واللاّحقين، وقد عُلِم دخول المعصوم في هذا الإجماع.»(25)، وقال محمّد بن النّعمان الملقّب بالمفيد: – «اتّفقت الإماميّة على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدّنيا قبل يوم القيامة.»(26).

وللمهدي هذا عند خروجه أوصاف كثيرة لن نأتي إلاّ على ما يهمّنا في بحثنا هذا، وهي السّمات اليهوديّة لهذا المهدي الشّيعي المنتظر.

السّمات اليهوديّة لمهدي الشّيعة المنتظر

أ – مهدي الشّيعة سيحكم بشريعة داود و آل داود وبتوراة موسى:

في كتاب الحجّة من الأصول في الكافي(27) قال الكلّيني: –

‹ باب في الأئمّة عليهم السّلام أنّهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البيّنة عليهم السّلام والرّحمة والرّضوان ›

(24) من لا يحضره الفقيه لابن بابوية القمّي الشّيعي 3/ 458.

(25) الإيقاظ من الهجعة ص24.

(26) أوائل المقالات ص52.

(27) هو من عمدة كتبهم بل من أجلّها، والكلّيني متوفى سنة 329هـ وهو عندهم ثقة وقدوة، وقد زعم صاحبه أنّه ألّفه في عشرين سنة، والكلّيني كان حيّا في زمن الغيبة الصّغرى، وهذا يقوّي الرّواية عند الشّيعة أنّه عرضه على الإمام الغائب فاستحسنه وقال هو كاف لشيعتنا. (انظر مقدّمة الأصول من الكافي).

1 – عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن منصور عن فضل الأعور عن أبي عبيد الحذّاء قال: كنّا زمان جعفر عليه السّلام حين قبض نتردّد كالغنم لا راعي لها، فلقينا سالم بن أبي حفصة فقال لي: يا أبا عبيدة من إمامك؟ فقلت: أئمّتي آل محمّد، فقال: هلكت وأهلكت أما سمعتُ أنا وأنت أبا جعفر عليه السّلام يقول: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهليّة؟ فقلت: بلى لعمري، ولقد كان قبل ذلك بثلاث أو نحوها دخلت على أبي عبد الله عليه السّلام فرزق اللهُ المعرفة، فقلت لأبي عبد الله عليه السّلام: إنّ سالما قال لي كذا وكذا، قال: يا أبا عبيدة إنّه لا يموت منّا ميّت حتّى يخلف من بعده من يعمل بمثل عمله ويسير بسيرته ويدعو إلى ما دعا إليه، يا أبا عبيدة إنّه لم يمنع ما أعطي داود أن أعطي سليمان. ثمّ قال: يا أبا عبيدة إذا قام قائم آل محمّد عليه السّلام حكم بحكم داود وسليمان ولا يُسأل بيّنة.

2 – محمّد بن يحي عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن أبان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: «لا تذهب الدّنيا حتّى يخرج رجل منّي يحكم بحكومة آل داود ولا يُسأل بيّنة، يعطي كلّ نفس حقّها.».

3 – محمّد عن أحمد بن محمّد عن ابن محبوب عن هشام بن سالم عن عمّار السّاباطي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: بما تحكمون إذا حكمتم؟ قال: «بحكم الله وحكم داود، فإذا ورد علينا الشّيء الذي ليس عندنا تلقّانا به روح القُدُس.».

4 – محمّد بن أحمد عن محمّد بن خالد عن النّضر بن سويد عن يحي الحلبي عن عمران بن أعين عن جعيد الهمداني عن عليّ بن الحسين عليه السّلام قال: سألته بأيّ حكم تحكمون؟ قال: «حكم آل داود، فإن أعيانا شيء تلقّانا به روح القدس.».

5 – أحمد بن مهران رحمه الله عن محمّد بن عليّ عن ابن محبوب عن هشام بن سالم عن عمّار السّاباطي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: ما منزلة الأئمّة؟ قال: «كمنزلة ذي القرنين وكمنزلة يوشع وكمنزلة آصف صاحب سليمان.» قلت : فبما تحكمون؟ قال: «بحكم الله وحكم آل داود وحكم محمّد صلّى الله عليه وسلّم ويتلقّانا به روح القدس.»(28).

(28) الجزء الأوّل/ص397-398.

موقظة

درج الشّيخ محمّد حسين فضل الله الشّيعي الإمامي اللّبناني أن يفسّر نصوص الشّيعة تفسيرا عقلانيّا قريبا ممّا يرضاه العامّة، كما فعل مع مصحف فاطمة، فإنّه من المعروف في المذهب الشّيعي أنّ مصحف فاطمة هو أحكام وأخبار مستقبليّة (نبوءات) وأخبار ماضية وتطمينات نفسيّة ألقاها جبرائيل عليه السّلام عليها بعد أن منعها أبو بكر رضي الله عنه حقّها في ميراث النّبي صلّى الله عليه وسلّم في فدك، وبعد أن ضربها عمر ابن الخطّاب رضي الله عنه على بطنها فأجهضت جنينا في بطنها اسمه محسن (مزاعم شيعيّة)، فالتجأت إلى بيتها حزينة، فكان ينزل عليها جبريل عليه السّلام فيسلّيها بهذا الحديث وهي تلقي على عليّ رضي الله عنه ما يلقيه جبريل عليه السّلام عليها، فتجمّع لديها ما يسمّى بمصحف فاطمة، فهذا هو معتقد الشّيعة في مصحف فاطمة.. ولكن الشّيخ محمّد حسين فضل الله (باعتباره شيعيّا متنورا) يفسّر مصحف فاطمة أنّه مجموعة فتاوى وأحكام ومواعظ كانت تلقيها فاطمة رضي الله عنها على بنات جنسها، هذا التّفسير من الشّيخ فضل الله لم يقبله الشّيعة ولا أئمّتهم فراحوا يردّون عليه تفسيره(29).

أقول: – ربّما يذهب الشّيخ فضل الله في تأويل هذه الأحاديث على معنى إقامة العدل وإصابة الحقّ، كون حكم آل داود هو الحقّ والعدل، ولكن هذا التّفسير ستجابهه نصوص شيعيّة كثيرة في هذا الباب، ومنها ما هو صريح أنّه يحكم بما يسمّى (الجفر الأحمر) كما في ‹بحار الأنوار› للمجلسي: عن جعفر أنّه قال: «إنّ القائم يسير في العرب في الجفر الأحمر.»، قال (رفيد): قلت: جعلت فداك وما الجفر الأحمر؟ قال: «فأمرّ إصبعه على حلقه »قال: هكذا يعني الذّبح(30).

والجفر عند الشّيعة في كتبهم هو ما رواه الكلّيني في ‹الكافي› (31) قال أبو عبد الله عليه السّلام: «إنّ عندي الجفر الأبيض»، قال قلت: فأيّ شيء فيه؟ قال:« زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليه السّلام والحلال والحرام.».

وواضح من هذه النّصوص الشّيعيّة أنّ حكم المهدي الشّيعي سيكون بشريعة داود

(29) انظر ما كتبه ياسين الموسوي من ملاحظات على منهج السّيد محمّد حسين فضل الله حيث اتّهمه بأنّه متأثّر بالمذهب السّنّي وقد صرّح هذا الشّيعي فيه أنّ هناك فرقا جوهريّا بين المنهجين بين الفكر السّنّي والشّيعي.

(30) بحار الأنوار 13/181 (نقلا عن الشّيعة والتّشيّع ص 377).

(31) الكافي 1/ 240.

عليه السّلام، هذا مع حكمه بشريعة محمّد صلّى الله عليه وسلّم كذلك، وهو ردّ على زعم أنّ مقصد الكلام هو إقامة الحقّ فقط لا شريعة داود عليه السّلام، والمغايرة بين شريعة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وبين آل داود عليه السّلام معلومة واضحة قال تعالى:(لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[المائدة 48]. وقد وردت روايات صريحة تبيّن هذا المعنى: ففي ‹بحار الأنوار› لمحمّد باقر المجلسي: «وأنّه يحكم بينهم مرّة بحكم آدم ومرّة بحكم داود ومرّة بقضاء إبراهيم وفي كلّ واحد منها يعارضه بعض أصحابه.»(32).

إذا علمنا هذا، ثمّ رأينا أنّ القرآن المزعوم الذي سيُعلّمه المهدي الشّيعي القادم لأتباعه ليس فيه حرف من القرآن، وهو ثلاثة أضعاف مصحفنا، علمنا أنّ المقصود بذلك هو التّلمود وليس القرآن الكريم.

روى المفيد في كتاب ‹الإرشاد› بإسناده إلى جابر الجعفي عن أبي جعفر أنّه قال: «إذا قام قائم آل محمّد صلّى الله عليه وسلّم ضرب فساطيط ويعلّم النّاس القرآن على ما أنزل الله عزّ وجلّ فأصعب ما يكون من حفظه اليوم لأنّه يخالف فيه التّأليف.»(33).

وروى النّعماني في ‹الغيبة› بإسناده إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كأنّي بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلّمون النّاس القرآن كما أنزل.» قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو كما أُنزل؟ فقال: «لا، مُحي منه سبعون من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وما ترك أبو لهب إلاّ إزراء على رسول الله صلّى الله عليه وآله لأنّه عمّه.»(34).

ولذلك قال الجزائري: وقد رُوي في الأخبار أنّهم عليهم السّلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصّلاة وغيرها، والعمل بأحكامه حتّى يظهر مولانا صاحب الزّمان فيرتفع هذا القرآن من أيدي النّاس إلى السّماء ويخرج القرآن الذي ألّفه أمير المؤمنين فيقرأ ويعمل بأحكامه(35).

وقد روى الكلّيني في ‹الكافي› عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السّلام: أنّ القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السّلام إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم سبعة عشر ألف آية(36).

---

(32) بحار الأنوار 52/ 389 (نقلا عن الشّيعة والتّشيّع ص 377).

(33) ص 413.

(34) ص 172-172.

(35) الأنوار النّعمانيّة في بيان نشأة الإنسانيّة 2/363-364.. والجزائري هو نعمة الله بن عبد الله الحسيني شيعي إمامي مُدِح بقولهم:- كان عالما محقّقا مدقّقا جليل القدر، توفّي سنة 1112هـ، وكان تلميذا لعلاّمة الشّيعة محسن الكاشاني.

(36) كتاب ‹أصول الكافي› باب النّوادر 2/ 134، ومعلوم أنّ قرآننا لا يتعدّى ستّة آلاف آية إلاّ يسيرا.

وروى الكلّيني بإسناده عن أبي الحسن عليه السّلام قال قلت له: جعلت فداك إنّا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: «لا، اقرؤوها كما تعلّمتم فيجيبكم من يعلّمكم.»(37).

وقد أقرّ الخوئي – المرجع السّابق للشّيعة في العراق – دعوى وقوع التّحريف والنّقص في القرآن، يقول: – إنّ كثرة الرّوايات على وقوع التّحريف في القرآن تورث القطع بصدق بعضها عن المعصومين، ولا أقلّ من الإطمئنان بذلك وفيها ما روي بطريق معتبر(38).

وفي ‹الكافي› للكلّيني: «وإنّ عندنا لمصحف فاطمة... مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.»(39).

بـ – مهدي الشّيعة المنتظر أنّه يتكلّم العبرانيّة:

في كتاب ‹الغيبة› للنعماني: «إذا أذّن الإمام دعا الله باسمه العبراني (فانتخب) له صحابته الثّلاثمائة والثّلاثة عشر قزع كقزع الخريف، منهم أصحاب الألوية، منهم من يفقد فراشه ليلا فيصبح بمكّة، ومنهم من يُرى يسير في السّحاب نهارا يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه...»(40).

جـ – اليهود من أتباع المهدي الشّيعي المنتظر:

روى الشّيخ المفيد في ‹الإرشاد› عن المفضّل بن عمر عن أبي عبد الله قال: يخرج مع القائم عليه السّلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلا من قوم موسى، وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون وسليمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصارا(41).

---

(37) جـ 4/ص 619 باب أنّ القرآن يرفع كما أنزل.
(38) البيان في تفسير القرآن: ص 226.
(39) نقلا عن تاريخ ما بعد الظّهور ص 372 وهو في كتاب ‹الشّيعة والتّشيّع› ص 371.
(40) أصول الكافي: 1/239.
(41) الإرشاد: ص 402 (نقلا عن الخطوط العريضة لمحبّ الدّين الخطيب ص 25).

وواضح من النّصّ أنّ القصد هم قوم موسى وأمّا البقيّة ممّن ذكروا فمن أجل التّمويه فقط، وحين خروجه ليس من الصّعب أن يزعم أحدهم أنّه سلمان الفارسي أو أبو دجانة الأنصاري أو أنّه من أصحاب الكهف.

وبهذا نخلص إلى أنّ مهدي الشّيعة: –

1 – يحكم بشريعة آل داود، وبقرآن جديد ليس هذا الذي بين أيدينا، ولو سأل سائل فأين شريعة آل داود لوجد الإجابة ولا شكّ أنّه التّلمود، ولذلك يبايع النّاس على كتاب جديد، ففي كتاب ‹الغيبة› للنّعماني عن أبي جعفر أنّه قال: «فوالله لكأنّي أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع النّاس بأمر جديد شديد، وكتاب جديد، وسلطان جديد من السّماء.»(42).

2 – لسان المهدي هو العبرانيّة.

3 – أتباعه من اليهود .

أعداء المهدي الشّيعي

1 – فعن أبي جعفر أنّه قال: «لو يعلم النّاس ما يصنع القائم إذا خرج لأحبّ أكثرهم ألاّ يروه ممّا يقتل من النّاس، أما إنّه لا يبدأ إلاّ بقريش فلا يأخذ منها إلاّ السّيف، ولا يعطيها إلاّ السّيف، حتّى يقول كثير من النّاس: هذا ليس من آل محمّد ولو كان من آل محمّد لرحم.»(43).

2 – وفي ‹الغيبة› كذلك للنّعماني عن جعفر أنّه قال: «إذا قام القائم من آل محمّد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثمّ أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثمّ خمسمائة أخرى حتّى يفعل ذلك ستّ مرات»، قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: «نعم منهم ومن مواليهم.»(44).

3 – وعن جعفر أنّه قال: «يخرج موتورا غضبا أسفا ... يجرّد السّيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هوجاء. فأوّل ما يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ويعلّقها في الكعبة وينادي مناديه: هؤلاء سرّاق الله، ثمّ يتناول قريشا فلا يأخذ منها إلاّ السّيف ولا يعطيها إلاّ

---

(42) ص 231.

(43) الغيبة للنّعماني ص 107 .

(44) المصدر السّابق ص 235.

السّيف.»(45).

فأعداؤه هم أهل السنّة، وستهدى إليه دماؤهم.

حقيقة ملك اليهود كما هو عندهم (المخلّص)

التّوراة(46) عند اليهود خمسة أسفار هي: التّكوين والخروج واللاّويين والعدد والتّثنية، وهذه يزعمون أنّ موسى عليه السّلام قد كتبها بيده(47) وبقيّة العهد القديم تتكوّن من 39 سفرا منها 15من الأسفار المنسوبة بالإسم إلى الأنبياء..

والتّوراة خليط من الأخبار التّاريخيّة والأحكام الشّرعيّة والنّبوءات المستقبليّة(48) والأناشيد الدّينيّة. ولعلّ النّبوءات التّوراتيّة هي أهمّ موضوع في التّوراة عند أهلها، ومن

---

(45) المصدر السّابق ص 308.

(46) التّوراة كلمة مستعربة أصلها بالعبري تورا: بمعنى القانون والتّعليم والشّريعة، وأوّل ترجمة لها تمّ في عهد الرّشيد على يد أحمد بن عبد الله بن سلام. (انظر كشف الظّنون 1/504).

(47) على الرّغم أنّ في سفر التّثنية في الإصحاح 34 قوله:- «فمات موسى عبد الرّبّ في أرض مؤاب حسب قول الرّبّ ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم»، فعجيب لرجل يكتب عن نفسه أنّه مات ودفن، ولابن تيمية رحمه الله رأي رائع في موضوع تحريف التّوراة والإنجيل يخالف بعض ما استقرّ في أذهان البعض نسوقه باختصار:-

1- الصّواب الذي عليه الجمهور أنّه بدل بعض ألفاظها.

2- جمهور المسلمين يقولون أنّ بعض ألفاظها بدّل كما بدّل كثير من معانيها.

3- أنّ القوم عندهم من ألفاظ الأنبياء ما لم يفهموا كثيرا منه وما حرّفوا كثيرا منه.. (انظر الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح جـ1/ ص4 وص 373 وص 374).

(48) أنبياء اليهود لا يعدّون في التّوراة كثرة، ففي سفر الملوك الأوّل (إصحاح 18- آية 19) أنّ أربعمائة نبيّ فينيقي كانوا يأكلون على مائدة إيزابيل، يقول:- فالآن أرسل واجمع إليّ كلّ إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل أربعمائة والخمسين وأنبياء السّواري أربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابيل.اهـ. وأنبياء اليهود أشبه بصوفيّة المسلمين ففي سفر صموئيل (إصحاح 10- آية 25): ويكون عند مجيئك إلى هناك إلى المدينة أنّك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة، وأمامهم رباب ودفّ وناي وعود وهم يتنبّؤون. اهـ بل هم هم يقول البروفيسور عبد الأحد داود (كان قسّيسا فأسلم وتسمّى عبد الأحد) وكان الرّجل الذي ينظر أو يراقب من البرج (المصفا أو المسفا) يسمّى صوفي (sophi).

ويقول:- كان الصّوفي رئيس جماعة الدّاخلين في هذه المجموعة... =

الأسفارالتي امتلأت بالنّبوءات ‹سفر حزقيال›، وهذا السّفر كالأسفار التّي تسمّت بأسماء كتبة هذه الأسفار.

وقد ذكر المخلّص ملك اليهود المنتظر في الكثير من الأماكن والأسفار(49)، إلاّ أنّ اقتصاري على ذكر ‹سفر حزقيال› سببه أنّ فيه نبوءات أخرى مهمّة وهي ذات قيمة في العقيدة اليهوديّة مع أنّ المخلّص ورد ذكره أكثر في غير ‹سفر حزقيال›..

نبوءات مهمّة

أ - تدمير مصر:

وقد توزّعت النّبوءة في هذا السّفر (حزقيال) في الإصحاح التّاسع والعشرين والإصحاح الثّلاثين والإصحاح الحادي والثّلاثين وفي هذه النّبوءة يقول: -

1 - وأتركك في البريّة أنت وجميع سمك أنهارك على وجه الحقل تسقط فلا تجمع ولا تسلم، بذلك طعاما لوحوش البرّ وطيور السّماء.

2 - وتكون أرض مصر مقفرة وخربة فيعلمون أنّي أنا الرّب لأنّه قال النّهر لي وأنا عملته لذلك ها أنذا عليك وعلى أنهارك وأجعل أرض مصر خربا خربة مقفرة من مجدل(50) إلى أسوان إلى تخوم كوش.

3 - ولا يكون بعد رئيس من أرض مصر(51).

= والواقع أنّ من تعرفهم الآن باسم الصّوفيّة كانوا يسمّون عندئذ (نبييم NBIYIM) أو الأنبياء.. (انظر محمّد والكتاب المقدّس ص 76 وما بعدها). والكتاب وقع في خطأ في عنوانه حين سمّى التّوراة والإنجيل بالكتاب المقدّس وأنّى لهما القداسة؟!! وهذا العنوان من التّأثّر بما يقوله المشركون.

(49) كما في سفر أشعياء وقد ذكر فيه قريبا ممّا ذكره الشّيعة عن مهديّهم في كثرة قتلاه، ففي الإصحاح 66: «ويكثر قتلى الرّبّ».

(50) مجدل حسب جغرافيّة التّوراة هي الأرض الواقعة شرق القاهرة الآن ففي سفر الخروج (الإصحاح 14- اية2): كلّم بني إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث، بين مجدل والبحر أمام بعل صفوان.

وقد ذكر بعض الأثريّين أنّهم وجدوا أنقاضها في «أبو حسن».

(51) هذه النّبوءة ذكرها طه حسين كأمر مسلّم به في ‹حديث الاربعاء› حيث نفى أن يكون هناك مصريٌّ من أهلها حكم مصر.

4 – و أشتّت المصريّين بين الأمم وأذريهم في الأرض فيعلمون أنّي أنا الربّ.

5 – حين أجعل أرض مصر خرابا، وتخلو الأرض من ملئها، عند ضربي جميع سكّانها يعلمون أنّي أنا الربّ. هذه مرثاة يرثون بها بنات الأمم ترثو بها على مصر وعلى كلّ جمهورها ترثو بها يقول السّيّد الربّ(52).

بـ – تدمير صور اللّبنانية:

وهذه النّبوءة توزّعت على الإصحاح السّادس والعشرين والإصحاح السّابع والعشرين والإصحاح الثّامن والعشرين، وفيها يقول: –

1 – ها أنذا عليك يا صور فأصعد عليك أمما كثيرة كما يعلي البحر أمواجه فيخربون أسوار صور ويهدّمون أبراجها وأسحي ترابها عنها.

2 – وتكون غنيمة للأمم وبناتها اللّواتي في الحقل تقتل بالسّيف.

3 – حين أصيّرك مدينة خربة كالمدن غير المسكونة حين أصعد عليك القمر فتغشاك المياه الكثيرة.

4 – يا ابن آدم ارفع مرثاةً على ملك صور وقل له هكذا قال السّيّد الربّ.

في النّبوءات يرفع حزقيال من معنويّات شعبه الأسير بأن تنبّأ بموت كلّ أعدائه وبقرب انتصاره ورأى كيف ستكون أورشليم المستقبل فقد سار به في شوارع المدينة وبصّره المعبد المبني حديثا وطلب منه أن يمعن النّظر ويحفظ ما يراه ليحدّث به شعبه في أرض بابل (الأسر اليهودي) وبشّرهم حزقيال بأنّ ملك الأرض سيكون من نسلهم وأنّ هذا الحاكم سيحكم باسم الربّ يهوه بالعدل والسّلام.

يقول حزقيال: يقول السّيّد الربّ: –

---

(52) للدكتور كمال الصّليبي كتاب عنوانه «التّوراة جاءت من جزيرة العرب» أثبت فيه أنّ مصر التّوراة ليست هي مصر هذه الأيّام وعاود التّأكيد على هذا في كتابه الآخر «خفايا التّوراة»، وآراؤه هذه أحدثت ضجّة كبيرة وهلع منها العرب إذ اعتبروها دعوة من الصّليبي لتأكيد حقّ اليهود في الجزيرة العربيّة، فهو يعتبر مصر هي قرية المصرمة في الجنوب من جيزان عند حدود اليمن. وأيّد قريبا من هذا القول محمود القاسم في كتابه «جغرافيّة القصص القرآني مصر ليست مصر وغيرها» وقال: أنّ مصر القرآن ليست مصر اليوم واختلف مع الصّليبي في تحديد مكانها... ونحن هنا لا يهمّنا أن نثبت موقع مصر وإنّما إثبات عقيدة اليهود في مصر وماذا سيفعلون بها من خلال نبوءات أنبيائهم. وبعض الباحثين يرى أنّ تدمير مصر سيتمّ عن طريق هدم السدّ العالي حيث يقول إنّ اليهود هم أصحاب فكرته وقد حاولوا هدمه مرارا.

1 – حين أتقدّس فيكم قدّام أعينهم وآخذكم من بين الأمم وأجمعكم من جميع الأرض وآتي بكم إلى أرضكم وأرشّ عليكم ماءً طاهراً فتطهرون.

2 – وتسكنون الأرض التي أعطيت آباءكم إيّاها وتكونون لي شعبا وأنا أكون لكم إلها.

3 – ها أنذا آخذ بني إسرائيل من بين الأمم التي ذهبوا إليها وأجمعهم من كلّ ناحية وآتي بهم إلى أرضهم وأصيّرهم أمّة واحدة في الأرض على جبال إسرائيل وملك واحد يكون ملكا عليهم كلّهم. اهـ.

افتتن اليهود وأولعوا بقدوم الملك المخلّص، ففي كتاب ‹اليهود الحسيديم› للدكتور جعفر هادي حسن، يلاحظ النّاظر أنّ الكثير من أحبار اليهود قد أصابهم الخبل والجنون وهم ينتظرون الملك المخلّص. يقول الدكتور جعفر: – فممّا نقل عن الصديقيم ليفي اسحاق بردلشيف (اسم حبر حسيديمي) أنّه كان يتوقّع ظهور المسيح المخلّص كلّ يوم، وكان يضع ملابس يوم السّبت جاهزة معه استعدادا لاستقباله... وقد وقف يوم التّاسع من أب (يوم صيام اليهود) إلى جانب شبّاك في بيته وهو يتطلّع إلى الخارج بقلق، وكان كلّما سمع صوتا يرهف سمعه ويتنصّت ليعرف مصدر الصّوت(53).

وذكرصديقيما آخر كان دائم التّطلّع إلى ظهور المخلّص اسمه موشي تيتلباوم، فقد كان ينتظره كلّ يوم ويترقّب خروجه.. وكان في كلّ ليلة عندما ينام يهيّء ملابس السّبت ويذكّر حاجبه أن يوقظه في اللّحظة التي يسمع فيها بظهور المخلّص(54).

الصديقيم اسحاق هروفتش (الرّائي) توفّي سنة 1815م: هذا الصديقيم اتّفق مع ثلاثة من الصّديقيم على التّعجيل بظهور المخلّص أيّام احتلال نابليون لروسيا بالطّرق الباطنيّة(55).

تيتلباوم كان يقول: – أنا لا أفهم لماذا لا يحاول الصديقيم في العالم الآخر التّعجيل بظهور المخلّص، إنّهم يجب أن يطبقوا السّماوات على الأرض من أجل ذلك، ولكنّهم ربّما نسوا ما يحدث في عالمنا الأرضي عند دخولهم الجنّة(56).

---

(53) اليهود الحسيديم ص 176 . والحسيديم معناها الإحسان وهم طائفة يهوديّة أصوليّة، والصديقيم هو المرشد الرّوحي في هذه الطّائفة، والياء والميم في آخر الكلمتين للنّسبة.

(54) المصدر السّابق ص 177 .

(55) المصدر السّابق ص 160 .

(56) المصدر السّابق ص 177 .

وكان الصديقيم موس بن زفي (ت 1841م) يقول لأهله كلّ ليلة: لو كنت أعلم بأنّ شعر رأسي سيكون أبيض ولا ترى عيناي المسيح المخلّص لما بقيت حيًا، يا ربّ أنت الذي أبقيتني وحفظتني بهذا الأمل وهذا الإعتقاد، إنك ضحكت عليّ فهل هذا شيء جيّد، وهل هذا شيء جيّد أن تضحك على رجل مثلي؟(57).

وبعضهم هيّأ غرفة خاصّة في بيته وأسماها غرفة المسيح، وقد وضع فيها كلّ غال ونفيس عنده ولم يكن يسمح لأحد بالدّخول إليها(58).

بل إنّ بعضهم وعد أنّه لن يدخل الجنّة عندما يموت حتّى يجبر المخلّص على الظّهور(59).

وفي سنة 1992م قام طائفة من اليهود بتوزيع مناشير تبشّر النّاس بقرب ظهور المخلّص، حتّى إنّه قد ذكر بأنّهم قد بنوا له دارة قرب مستوطنتهم «حبد»(60).

وقد تقدّم معك اعتقاد بعض اليهود كمناحيم بيغن في موشي دايان أنّه هو المخلّص(61).

موعظة

يعتقد النّصارى أنّ المخلّص المذكور في التّوراة هو عيسى عليه السّلام، وكثير من شرّاح التّوراة يفسّرون بعض النّبوءات أنّ المعني بها هو المسيح الدّجّال، واليهود والنّصارى يعتقدون بنبوءة قدوم المسيح الدّجّال، وهم يؤمنون أنّه سيكون خصم مسيحيّهم القادم، وأكثر الأسفار ذكرا لهذا المسيح -حسب تفسيرات الشّرّاح- هو سفر دانيال(62)، وعلى مرّ التّاريخ كانوا يستخدمون هذه النّصوص ضدّ المسلمين، وأكثر

---

(57) المصدر السّابق ص 176.

(58) المصدر السّابق ص 178.

(59) المصدر السّابق ص 178 وما بعدها.

(60) المصدر السّابق ص 181.

(61) إعتقاد يهوديّة المنتظر يقول به بعض صوفيّة المسلمين (انظر الكشف عن حقيقة الصّوفيّة لمحمود القاسم ص525).

(62) يفسّر بعض البحّاثة المسلمين بعض نبوءات دانيال أنّ المقصود بها محمّد صلّى الله عليه وسلّم وخاصّة ما ورد في الإصحاح الثّامن، وسفر دانيال مصدر خصب من مصادر النّبوءات، والظّاهر أنّ كاتب السّفر كان صاحب خيال مجنّح جداً، وللذكر فإنّ أكثر النّبوءات وقعت واليهود مأسورون عند نبوخذنصّر الفارسي، وكانت تستخدم من أجل رفع معنويّات الشّعب اليهوديّ.

المؤمنين اليوم بعقيدة هرمجدّون (جبل المجد) يعتقدون أنّ المسيح الدّجّال هو من المسلمين (المحمّديّين حسب تعبيرهم).

في الحروب الصّليبيّة احتجّ البابا أوربان الثّاني(سنة 489 – 1095م) بنصوص من العهد القديم (التّوراة) وخاصّة من المزامير، وبعض نصوص الإنجيل كذلك لاستثارة الحميّة النّصرانيّة ضدّ المسلمين (الوثنيّين حسب تعبيره) تقول بني كول (63): يقول غبير (مؤرّخ صليبي عاصر الحملات الصّليبيّة): إنّ البابا ارتقى مراتب لاهوتيّة وعاطفيّة عالية، إذ وصل بين فكرة الرّد القسري المقدّر للأتراك الوثنيّين من فلسطين، وخصوصا من القدس، واعتقاد الكنيسة فيما ستعلّق بالمسيح الدّجّال ونهاية العالم، ذلك كان اعتقادا ألهب الخيال في العصور الوسطى إذ أنّ الكشف عمّا يقع من أحداث في أيّام العالم الأخيرة، حيث يشتبك الإله مع المسيح الدّجّال، عدوّ الشّرير، في معركة كونيّة رهيبة، كان موضوعا أثيرا في الفنّ الدّينيّ والكتابات اللاّهوتيّة وفي المسرح، وإنّما جعل موضوع المسيح الدّجّال ملائما هذه الملائمة لفكرة طبيعة الوجود التّركي المقدّر في فلسطين هو الإعتقاد أنّ هذا الصّراع الخطر سيكون مسرحه مدينة القدس(64) .

وكان النّصارى يعتقدون يومها أنّه قبل قدوم المسيح الدّجّال يجب أن تكون القدس خاضعة للمسيحيّين، وكان هذا دافعا لدى الرّهبان يومها لإشعال الحروب الصّليبيّة، أمّا اليوم فقد تحولّت العقيدة إلى أنّ خضوع فلسطين ينبغي أن يكون لليهود، وهو التّفسير الصّحيح للنّبوءة كما يقولون، وهو يفسّر لك بعض التّفسير لماذا يدعم النّصارى الأصوليّون الدّولة اليهوديّة في فلسطين(65) .

---

(63) باحثة في جامعة كامبريج.

(64) المرجع = فلسطين في كتابات العالم الغربي اللاّتيني في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر ميلادي/ الفصل الرّابع من كتاب: الصّراع الإسلامي الفرنجي على فلسطين في القرون الوسطى. تحرير هادية داجاني وبرهان داجاني.

(65) من النّصوص التي فسّروا أنّ المقصود بها المسيح الدّجّال هو ما ورد في سفر دانيال الإصحاح قبل الأخير والأخير من السّفر وفيه:

1– ويمدّ يده على الأراضي وأرض مصر لا تنجو.

2 – من يعرفه يزيده مجدا ويسلّطهم على كثيرين ويقسّم الأرض أجرة.

3 – ويتعظّم على كلّ إله.

4 – وتقوم منه أذرع وتنجّس المقدّس الحصين وتنزع المحرقة الدّائمة وتجعل الرّجس المخرّب والمعتدون على العهد يغويهم بالتّملّقات.. وهذا النّصّ يبيّن أنّ الدّجّال سيغري النّاس بالمال والمنصب.

سمات الدّجّال اليهوديّة كما وردت في السنّة النّبويّة

جاءت الكثير من الأحاديث التي تحذّر الأمّة الدّجّال، وذكرت الكثير من أوصافه وأخباره، وسنقتصر هنا على ذكر الصّفات التي تبيّن التقاءه مع الوصف المتقدّم لمهدي الشّيعة ومخلّص اليهود..

وأمّا الأوصاف والأخبار الأخرى فسنتركها مع أهمّيّتها لأنّها لا علاقة لها بموضوعنا، وسنختصر هذا الباب لأنّ شرحه سيكون موسّعا إن شاء الله في تفسير آيات العلوّ الثّاني لبني إسرائيل في سورة الإسراء، وهي جزء من دراسة تتعلّق بفقه الفتن، وأقصد بفقهها: حقيقتها، كيف يفهمها المسلم؟ كيف وظّفها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ وما هي أهمّيّتها؟ وصور من الإستغلال الباطل لها.

1 - يهوديّة الدّجّال: -

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « يمكث أبو الدّجّال وأمّه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد، ثمّ يولد لهما غلام أعور، أضرّ شيء وأقلّه منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه»، ثمّ نعت لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أبويه، فقال: « أبوه طوال ضرب اللّحم (66) كأنّ أنفه منقار، وأمّه فرضاخيّة(67) طويلة الثّديين». قال أبو بكرة: فسمعت بمولود في اليهود بالمدينة، فذهبت أنا والزّبير بن العوّام، حتّى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهما. قلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد، ثمّ ولد لنا غلام أعور أضرّ شيء وأقلّه منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه. قال: فخرجنا من عندهما، فإذا هو منجدل في الشّمس في قطيفة، وله همهمة، فكشف عن رأسه، فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي(68).

---

(66) أي خفيف اللّحم.

(67) أي عظيمة الثّديين، يقال إمرأة فرضاخة وفرضاخيّة.

(68) رواه أحمد، وأبو داود الطّيالسي، والتّرمذي، من حديث حمّاد بن سلمة عن عليّ بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، وقال التّرمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلاّ من حديث حمّاد بن سلمة».

موقظة

هذا الحديث فيه ذكر ولادة الدّجّال وأنّه هو ابن صيّاد، وقد كان بعض الصّحابة رضي الله عنهم يعتقد أنّ ابن صيّاد هو المسيح الدّجّال، ومات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو شاكّ فيه، والحقّ أنّ ابن صيّاد ليس هو المسيح الدّجّال لمغايرته للكثير من صفاته، ولكنّنا أخذنا من هذا الحديث أنّ الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يعتقدون بيهوديّة الدّجّال.

2 - أتباعه من اليهود: -

1 - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: يتبع الدّجّال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطّيالسة(69) .

2 - عن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذكر الدّجّال فقال: «يكون معه سبعون ألفا من اليهود على رجل منهم ساج وسيف» (70) .

3 - مكان خروجه: -

عن النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّه خارج في خلّة بين الشّام والعراق »(71).

خاتمة

بهذا تكتمل لدينا هذه الحقيقة إن شاء الله تعالى، ونرجو من الله النّفع بها، والبحث لا يكون تامًا إلاّ بوجود دراسة واسعة مهمّة في كيفيّة عمل طوائف البدع والشّرك والكفر في تحقيق نبوءات كتبهم الباطلة حتّى تبدو منطقيّة ولا دور لعمل فوقي قهري فيها، وهذا الأمر

---

(69) رواه مسلم.

(70) رواه أحمد.

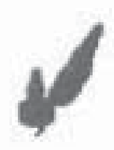
(71) رواه مسلم.

في الحقيقة هو أحد الإمتحانات المهمّة للعقليّة المسلمة في هذا الوقت، وهي تحتاج إلى طريقة علميّة مبناها على العمل وجمع المفردات من مظانّها ودراسة مناطق وقوع النّبوءة والكشف عن التّيّارات الظّاهرة والخفيّة من سياسيّة ودينيّة واجتماعيّة ومراكز إشاعة وإعلام، وأنا أنصح إخواني الذين لهم اهتمام بهذا الباب أن يبتعدوا عن التّوهّم وإرسال النّظر من وراء الجدر في دراسة أيّ ظاهرة سياسيّة أو إجتماعيّة أو دينيّة، ولا يغترّوا بجمال الأفكار على حساب الحقيقة.

وللذكر فإنّ هذا النّوع من الأعمال والتي مبناها على التّوهّم والإستشراف والتّحليل عن بُعد وإتقان عدّ الإحتمالات هو من مضحكات الأعمال عند الذين يحترمون أنفسهم، وما مراكز الدّراسات التي تصنع القرار أو تطبخ القرار في أيّ بلد أو تجمّع إلاّ مجموعة من الجامعين العمليّين لحيثيّات القضيّة، وليس مجموعة من أصحاب التّوهّم والتّحليل عن بعد ومن وراء جدر، ولذلك نرى أنّ الغرب بنى أساس تعامله مع مجتمعاتنا من خلال دراسات ميدانيّة عن طريق الرّحلات الإستكشافيّة في داخل أمّتنا، وقاموا بدراسة كلّ ظاهرة وبتجميع كتب التّراث ومعرفة القبائل ومعرفة واقع العلاقة بين النّاس...الخ. ثمّ بعد ذلك وعلى ضوئها استطاعوا أن يصنعوا أعمالا حقيقيّة دام أثرها علينا وإلى يومنا هذا، ولكن لأنّ البعض ظنّ أنّه إن استطاع عدّ الإحتمالات الوهميّة لقضيّة ما فإنّه يستحقّ أن يسمّى خبيرا استراتيجيا..

و الدّراسات الموضوعيّة الميدانيّة صياغة قرآنيّة وسنيّة، وقد نهى القرآن عن اتّباع الوهم، قال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السّمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا) [الإسراء]، والكلّيات والمطلقات لا وجود لها إلاّ في الأذهان، وهي سبيل غير علميّ وغير حقيقيّ، والغرب الكافر لم يتقدّم في ميدان العلوم إلاّ بعد تحطيم أغلال الفلسفة القائمة على التّوهّم الذّاتي، وممّن أرسى هذه القواعد عندهم فرانسيس بيكون، واقرأ إن شئت كتاب كانط: «نقد العقل المجرّد».. قال تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا)..

والحمد لله ربّ العالمين



من يرد الله به خيرا يفقّهه في الدّين

مسألة في

بدعة المولد

جمعها و أعدّها:
الأستاذ: ابن ديهاج الداودي

الحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لاشك أن حب النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان، وبغضه وعداوته من الكفر، ومع وجوب حبّه والأمر به لكنّه صلّى الله عليه وسلم نهى عن الغلو فيه وجعله في منزلة غير التي جعلها الله له، فحين قال الصحابي: – ما شاء الله وشئت، ردّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :– بل ما شاء الله وحده – وقال أيضاً: – لا تطروني كما أطرت بنو إسرائيل ابن مريم – وقال كذلك :– اللهم لا تجعل قبري عيدا – ونهى صلّى الله عليه وسلّم عن اتّباع سبيل الأمم السّابقة في تعظيم أنبيائهم فقال:– لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال: فمن؟.. وحين تنظر في حال هذه الأمة تجد أقواماً غَلَوْ فيه، فمنهم من يصلي لقبره ومنهم من يطلب منه العون والمدد.. و غير ذلك من البدع الشّركيّة والخرافات، ومن جملة هذه البدع الضّالّة الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم، وكان أول من أحدث هذه البدعة هم العبيديون، وأوّلهم خليفتهم المعز لدين الله الفاطمي بعد وصوله مصر، قادما من المغرب في شوال سنة 361 هـ، وحيث كان هذا الشيعيّ هو أول من أحدث هذه البدعة، فإنّه يلزمنا ذكر ما قاله العلماء في سيرته ودينه.

قال صاحب ‹ النجوم الزاهرة في أخبارملوك مصر والقاهرة › نقلا عن القاضي عبد الجبار البصري :- «اسم جد الخلفاء المصريين(يقصد العبيديّين) سعيد ويلقب بالمهدي، وكان أبوه يهودياً حداداً بسَلَمْيَة ثم زعم سعيد هذا أنه ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح» انتهى.

وقال أبو بكر الباقلاني :- «القداح جد عُبيد الله كان مجوسياً، ودخل عُبيد الله المغرب وادعى أنه علوي ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وكان باطنياً خبيثاً حريصاً على إزالة ملة الإسلام، أعدم الفقه والعلم ليتمكن من إغراء الخلق، وجاء أولاده أسلوبه، وأباحوا الخمر والفروج، وأشاعوا الرفض، وبثوا دعاةً فأفسدوا عقائد بلاد الشام، كالنصيرية والدرزية، وكان القداح كاذباً مخرِّقاً وهو أصل دعاة القرامطة» انتهى.

وزاد صاحب النجوم الزاهرة :- «ولما دخل المعز إلى القاهرة احتجب في القصر فبعث عيونه ينقلون إليه أخبار الناس وهو متوّفر في النعم والأغذية المسمنة والأطلية التي تنقي البشرة وتحسِّن اللون، ثم ظهر للناس بعد مدة وقد لبس الحرير الأخضر، وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمع كالكواكب، وزعم أنه كان غائباً في السماء وأن الله رفعه إليه، فامتلأت قلوب العامة والجهال منه رعباً وخوفاً ...» انتهى

وقال أيضاً أنّ الخليفة المطيع بالله قال :- «كلهم قرامطة على دين واحد، أما المصريون (يعني بني عُبيد) فأماتوا السنن وقتلوا العلماء، أما هؤلاء (يعني القرامطة) فقتلوا الحاج وقلعوا الحجر الأسود وفعلوا وفعلوا ..» انتهى.

فانظر-حفظك الله- حال هؤلاء الذين ادعوا حب النبي صلى الله عليه وسلم كحال سلفهم الذين ادعوا حب علي وحب آل البيت، وآل بيته منهم برآء .

أما مسألة مولد النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يوم إثنين من عام الفيل، هذا الذي جاءت به الروايات الصحيحة، ولم يثبت شيء فيما قيل أنه ولد لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول، وعمدة من قال بهذا أحاديث غير صحيحة، منها ما رواه البيهقي في دلائل النبوة وأبو نعيم في دلائله أيضاً وغيرهما، وقد اختُلف في اليوم الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم على أربعة أقوال، واختلفوا أيضاً في شهر مولده، فقيل في رمضان وقيل في ربيع الأول، فلو كانت هذه الليلة معظمة عند السلف رضي الله عنهم لما فاتهم ذكرها، كما ذكرواعيدي الفطر والأضحى وأيّام التّشريق وهي أعياد المسلمين مما علم عند السلف ثبات وقوعه، أما القائلون باحتفال المولد النبوي فليس لهم دليل على ثبوته سوى روايات ضعيفة أو استدلال بأدلة لا تحتمل ما ذهبوا إليه، كاستدلالهم بقوله تعالى: (قل **بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**)، واستدلالهم بحديث قدوم النبي صلى الله عليه وسلم

المدينة فوجد اليهود صائمين يوم عاشوراء اليوم الذي هلك فيه فرعون، فقال: «أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه». والجواب على هذه الإستدلالات من وجوه:

أولها:– أن معنى الآية الذي ذهبوا إليه لا نجده في كتاب الله، ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا قاله أحد من الصحابة، ولا أحد من علماء أهل السنة المعتبرين.

ثانيا:– أن الله عزوجل قال: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة 3]. فمن ادعى هذا الفهم بعد كمال الدين ووفاة النبي صلى الله عليه وسلم يكون قادحاً في دين الإسلام بأنه لم يكتمل كما لازم قول هؤلاء القوم.

ثالثا:– يقال بزعمهم هذا أنّ السلف رضي الله عنهم، إما قد عرفوا ما عرف هؤلاء وإمّا جهلوا، فإن قالوا عرفوه وعلموا ما فيه من خير يقال إذاً فما الذي منعهم من العمل به؟ وإن قالوا جهلوه فهذا قول منكر وزور، أو يكونون قد علموه وعلموا أن لا خير في الإحتفال به .

قال ابن القيم الجوزية رحمه الله في تفسير قوله تعالى: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا):– وقد دارت أقوال السلف على أن (فضل الله ورحمته) الإسلام والسنة وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بها وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحا..

وأما استدلالهم بحديث صوم عاشوراء فليس فيه ما ذهبوا إليه لأن أقصى ما في يوم عاشوراء صيامه، ولا ارتباط بين تعظيم اليوم وبين صيامه، فإن يوم الجمعة من أفضل أيام الله، ومع ذلك فقد نهى الشارع عن صومه وكذلك العيدان فبطل قياسهم.ثمّ إنّ صيام يوم عاشوراء قد ثبت بقول النبي صلى الله عليه وسلم ولم يثبت بغير ذلك.

ومن المعلوم عند كل من اطّلع على شيء يسير من سيرة الصحابة رضي الله عنهم، تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره، ألم تر أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه لما هوى لينزع خُفّي رسول الله، فقال له رسول الله: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين»، فمسح عليهما.. كأنّ هؤلاء القوم أكثر حبّاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم منه، وأكثر حبّاً من خبيب رضي الله عنه الذي قال له كبراء قريش بعد أن صلبوه :– أتحبّ أنّ محمّدا مكانك، وأنت سليم معافى في أهلك؟ فأجابهم رضي الله عنه: لا والله ما أحب أنّي في أهلي وولدي، معي عافية الدنيا ونعيمها، ويصاب رسول الله بشوكة.. أتراهم أشد حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضي الله عنهم أم حبهم هذا فتح رباني (كما تقول الصوفية) لم يعرفه الصحابة رضي الله عنهم؟!..

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتواه حول عمل المولد النبوي التي ساقها السيوطي في (حسن المقصد في عمل المولد) : أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد

من السلف الصالح من القرون الثلاثة..

وقال ابن تيمية رحمه الله في الإقتضاء بخصوص المولد النبوي :- لم يفعله السلف الصالح مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيرا محضا أو راجحا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في محبته وتعظيمه وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطنا وظاهرا، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هي طريقة السابقين من الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان..

وقال أبو عبد الله محمد الحفّار المالكي في ‹المعيار المعرّب للونشريسي›: «ليلة المولد لم يكن السلف الصالح وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم يجتمعون فيها للعبادة ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة، لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لا يُعظّم إلاّ بالوجه الذي شُرع به تعظيمه وتعظيمه من أعظم القربات إلى الله، لكن يُتقرّب إلى الله جلّ جلاله بما شرع».

وقال الشّيخ تاج الدّين عمر بن عليّ اللّخميّ المعروف بالفاكهاني، في رسالة ‹المورد في الكلام على المولد› لمّا سئل عن المولد: «... فقلت (وبالله التّوفيق) لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنّة، ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمّة الذين هم القدوة في الدّين، المتمسكون بآثار المتقدّمين، بل هو بدعة أحدثها البطّالون».

والنّاظر في الزّوايا التي تقام فيها هذه الإحتفالات يرى ما تشمئزّ منه النّفس، فهناك الشّركيّات من الطّواف بالقبور ودعائها، وطلب الشّفاء منها والذّبح لها بحجّة الإحتفال بالمولد، والرّقص الصّوفيّ في المساجد والأذكار الكفريّة (التي يسمّونها مدائحا نبويّة) حيث يطلبون فيها المدد من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويصفونه بما لا يليق إلاّ بالله، ناهيك عن ضرب الطّبول والمزامير، واختلاط الرّجال بالنّساء، والخلوة بهنّ، وانتشار الفواحش والشّعوذة والسّحر... فحسبنا الله ونعم الوكيل.

أخي في الله قدّمنا لك أصل هذه البدعة، ومن اختلقها، وأنّه لا أصل لتحديد يوم ميلاده صلّى الله عليه وسلّم، وأنّها مخالفة لمذهب السّلف، وكذلك البدع والمنكرات التي يفعلونها بدعوى الإحتفال بالمولد النّبويّ، فتحوّط لدينك واقتف أثر من أخذوا بالسّنّة، فقد كان الصّحابة رضي الله عنهم يقولون : «اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم».

والله الهادي إلى سواء السبيل.

قضية للمناقشة

بقلم :

الأستاذ عبد الحكيم الرّافعي

الفقه السياسي

قال طالب العلم الشّابُّ للعالم الشّيخ: لا بُدّ من الجهاد لإقامة حكم الله سبحانه وتعالى في الأرض.

فأجابه الشّيخ متسائلا: وهل يجوز الجهاد والإمام غير موجود؟!

ردّ الشّاب: لا بُدّ من الجهاد لإقامة هذا الإمام... وعاد يسرد الأدلّة التّي ساقها من قبلُ، في حين تمسك الشّيخ بهذا الإعتراض ردّاً على أيّ دليل!

وفقد الحوار قيمته، وأصبح يدور في حلقة مفرغة!

لستُ معنيًا -هنا- بترجيح أحد القولين على الآخر، إذ المقصود من هذا المدخل التّنبيه على مشكلة في «فقهنا السّياسيّ»، وعرضها للمناقشة من زاوية منهجيّة.

تتلخّص المشكلة في الكيفيّة التّي يجب أن نتعامل من خلالها مع ما نُقل إلينا من فتاوى السّابقين في «الفقه السّياسيّ». وهي فتاوى كانت تنطبق على واقعهم، وتنسجم معه، لأنّها من إفراز ذلك الواقع. فهل من المقبول في زماننا استحضار هذه الفتاوى، وإسقاطها على واقعنا؟!

القضيّة المنهجيّة في هذه المسألة -وفي كلّ ما يتعلّق بمنهج الإستدلال- تتمثّل في أنّنا عند النّوازل نستحضر الفتاوى، ولا نستحضر النّصوص. إنّ بيننا وبين النّصوص ركاما هائلا من الفتاوى والأقوال يحول بيننا وبين التّعامل المباشر معها.

ومن الضّروريّ للخطاب الإسلاميّ المعاصر أن يُفرّق بين النّصّ الثّابت بدلالته

المطّردة بلا تقييد بزمان أو مكان، وبين الفتوى التّي فرضتها ظروف معيّنة.

ومن الضّروريّ لهذا الخطاب أيضا إدراك القرائن المحتفّة بالنّصّ، من سبب ورود أو مناسبة، أو علّة، التّي يدور النّصّ معها وجودا وعدما.

وعلى الخطاب الإسلاميّ -أخيرا- أن يدرك أنّ مستجدّات كثيرة تفرض علينا التّعامل معها، وإلحاقها في الدّائرة المناسبة لها من مرادات الله سبحانه. وهذه قضيّة منهجيّة دقيقة لعلّي أعرضها للمناقشة في حلقة قادمة بإذن الله تعالى.

لقد أدرك العلماء المحقّقون هذه القضيّة، فكانوا أبناء واقعهم وهم يُفتون ويُنظّرون. وأكتفي بذكر مثال واحد يدلّل على ما أقول.

من المعلوم أنّ التّصرّفات العامّة لا تنفّذ من غير ولاية شرعيّة صحيحة، وهو حكم مستفاد من مجمل النّصوص، وعلى ذلك سار النّاس والولايات صحيحة، ومن أجل ذلك يجب أن يعملوا. ثمّ إنّه نشأت ظاهرة الولاة البغاة وعمّت العالم الإسلاميّ، وأجروا تصرّفاتهم على النّاس، فما العمل حينئذ؟

قال العزّ بن عبد السّلام رحمه الله: « وقد ينفذ التّصرّف العامّ من غير ولاية كما تصرّف الأئمّة البغاة، فإنّه ينفذ مع القطع بأنّه لا ولاية لهم وإنّما نفذت تصرّفاتهم وتوليتهم لضرورة الرّعايا، وإنّه لا انفكاك للنّاس عنهم» (1).

هذا مثال لكيفيّة التّعامل مع الواقع للضّرورة المرتبطة بوضع استثنائيّ. والفتوى هنا لا تغيّر الحكم الأصليّ، وهو عدم شرعيّة ولاية البغاة، ولكنّها حلّ لوضع قائم، وانظر إلى فقه العزّ رحمه الله ودقّته وهو يقول: « فإنّه ينفذ مع القطع بأنّه لا ولاية لهم».

ونعود إلى سياق حديثنا، لأعرض بعض الأمثلة المستجدّة المتعلّقة بالفقه السّياسيّ، وأكرّر بأنّ المقصود ليس تصويب رأي، أو ترجيح قول على قول:

1 - في الحوار الذّي جرى بين الشّيخ والشّاب، تظهر لنا الحاجة الملحّة للبحث والإجتهاد في النّازلة الرّاهنة، فحكم الله سبحانه غير مطبّق، والإمام غائب، وهذه مقدّمة... والثّانية أنّ المسلمين مطالبون بمنازعة الأمر أهله إن رأوا كفرا بواحا (2)، وهذا يقتضي

(1) قواعد الأحكام في مصالح الانام 62/1.

(2) إشارة إلى حديث عبادة بن الصّامت رضي الله عنه في الصّحيحين، وفيه قيّد النّبيّ ﷺ وجوب الخروج عليهم بقوله: «إلاّ أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان». البخاري / الفتن / حديث 7056،7055. مسلم / الإمارة / باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

جهادا. فإذا جُمعت المقدّمتين نتج ما يلي: الإمام غير موجود، والجهاد واجب! فكيف يُنفّذ الأمر عندئذ؟! ألا تُشبه هذه المشكلة بهذا الأسلوب من المعالجة، مشكلة الدّجاجة والبيضة، أيّهما أسبق؟!!

2 – مسألة تقسيم الدّار إلى قسمين رئيسيّين، دار إسلام، ودار كفر، هو التّقسيم المتصوّر زمن الإجتهاد، حيث كانت الأحكام الشّرعيّة تعلوا الدّار –ولو على دخن أحيانا– على أنّ اللّبس لم يكن على هذا المستوى الذي نعيشه!

إنّنا الآن نعيش واقعا جديدا، لم يتصوّره أبو حنيفة ولا غيره رحمهم الله. صورته: شعب مسلم، وأنظمة وقوانين جاهليّة، وحكّام يقترفون –قولا و فعلا– نواقض الإسلام، ثمّ نراهم يُصلّون ويصومون –زعموا–! ألا توقع هذه المتناقضات في الحيرة؟!

ولقد انتبه ابن تيمية رحمه الله إلى مثل هذا الواقع(1)، فسمّى الدّار الّتي تعلوها أحكام الكفر مع أنّ أهلها مسلمون، دارا مركّبة (2). ونحن علينا أن نفقه واقعنا جيّدا، لأنّ فقه الواقع، ووصف الدّار الّتي نعيش فيها يترتّب عليهما الموقف الواجب اتّخاذه. وعندما يحصل هذا الفقه لن تجد من يُفتي بوجوب هجرة أهل فلسطين منها! قياسا على هجرة المسلمين «من مكّة دار الكفر» إلى «المدينة دار الإسلام»(3). وكأنّ ما سيهاجر إليه المسلم دار الإسلام! لا ندري كيف قدّر وفكّر مَن صدرت عنه هذه الفتوى! ولكن ندري بأنّها تقرُّ بها أعين اليهود، ونظنّ بأنّه لازال يقبع في السّنة الثّالثة للهجرة، حيث توقّف زمنه هناك!.

3 – في زمن الحروب «الكلاسيكيّة» كان مفهوم الصّراع مقتصرا على المواجهة العسكريّة، كما أنّ مفهوم الإستعمار كان مقتصرا على الإحتلال العسكريّ المباشر.

ولكن في هذا الزّمن حيث الصّواريخ العابرة للقارّات، والحروب الباردة، وحيث يُدار العالم من غُرفة ومجموعة أزرار مربوطة بالأقمار الصّناعيّة، وحيث يُنفّذُ الإستعمار بواسطة السّفارات والإعلام...

في هذا الزّمن اختلف مفهوم الصّراع، واختلف مفهوم الإستعمار، وحُقّ لهما ذلك.

---

(1) لم يسبق أن وجد مثل هذا الواقع، ولعلّ أوّل وقوعه زمن ابن تيمية رحمه الله، ولكن مع ذلك فإنّ الوضع الذي تمرّ به الأمّة الآن فريد في بابه يشكّل مأزقا كبيرا، وتحدّيا دقيقا لأهل العلم.

(2) انظر الفتاوى، 241.240/28 .

(3) لا تنس أن تضع «فلسطين» مقابل «مكّة» وأن تضع ما شئت –إن وجدت– من البلاد مقابل «المدينة».

وعليه فإن أمّة ما قد تكون مستعمرة، أو في حالة حرب بالمفهوم المعاصر دون ضرب بالسّيوف وطعن بالرّماح وتراشق بالنّبال!

فماذا نريد بهذه المقدّمة؟

تنطبق هذه المقدّمة على ما يسمّى في السّياسة بالعلاقات الدّوليّة، وبتعبيرنا: حالات دار الكفر مع دار الإسلام. فعندما قال علماؤنا قديما: إنّ حالات دار الكفر مع المسلمين -باستقراء!- لا تخرج عن ثلاث حالات؛ معاهدة، وحياد، وحرب. قالوا هذا باستقرائهم هم، وعلى ضوء واقعهم هم! فكيف يؤخذ بهذا «الإستقراء»! وينزّل على واقعنا الذي تغيّرت فيه مفاهيم وأساليب الصّراع والعلاقات تغيّرا جذريًا؟!

دعك من السّويد وجاراتها، ولكن ماذا نقول في بريطانيا -مثلا-؟: هل نحن في حالة معاهدة معها؟ وإن كان كذلك فمن الذي عاهدها؟ وهل عقوده نافذة؟ أم هل نستطيع أن نقول بأنّ بريطانيا محايدة، مع أنّها سبب مصائبنا، بل ومصائب العالم (1) فلم يبق -حسب استقراء العلماء السّابقين- غير حالة الحرب، ولكنّنا بمفهوم ابن القيّم وابن قُدامة والشّربيني والدّردير، رحمهم الله، لسنا في حالة حرب مع بريطانيا، فأين نضعها إذن؟

أحسب أنّ طبيعة علاقاتنا مع بريطانيا ومثيلاتها بحاجة لعنايتنا نحن، وليس لعناية الكاساني!

وبعد...

فهذه بعض الملاحظات المنهجيّة أسوقها للمناقشة، وإثارة التّساؤلات لتكون مدخلا لبحثها -وغيرها- بعمق وتتبّع. ويبقى الهدف أن نعيش واقعنا، لنتعامل معه بمنهج سليم وموفّق.

والله أعلم

(1) حتّى قالوا: لو تصارعت سمكتان في البحر، فلا بدّ أن يكون للإنجليز يدٌ في هذا الصّراع!

من أبنية الورق لشيخ المعرّة
(هاجس الإغتراب والقلق)

الأستاذ عبد الرّحمن السّماوي

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله..

أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعرّي قنطرة في تاريخ لغتنا العربيّة لا يمكن تجاوزها بغير اهتمام، عدّه بعض العلماء زنديقا مثل ابن عقيل الحنبلي وتلميذه ابن الجوزي كما في ‹المنتظم› و ‹تلبيس إبليس›، والإمام ابن الوزير اليماني كما في كتابه ‹نصر الأعيان على شعر العميان›، ودافع عنه آخرون كالشّيخ كمال الدّين بن الزملكاني الشّافعي كما في ‹نكْت الهميان›، والأستاذ محمود محمّد شاكر في كتابه ‹أباطيل وأسمار›، والشّيخ طه الرّاوي كما في كتيّبه ‹أبو العلاء في بغداد›، والشّيعي محسن الأمين العاملي كما في ‹أعيان الشّيعة› ولعلّ أوسع الكتب تفسيرا لشعره على وجه يحمل الدّفاع عنه هو كتاب محمّد سليم الجندي ‹الجامع في أخبار أبي العلاء› في ثلاث مجلّدات..

استغلّ أعداء الدّين الكثير من كلام أبي العلاء في نقد الدّين، وحاولوا النّفخ في كثير من عباراته، وحمّلوها رهقا من المعاني، حتّى صار شيخ المعرّة هو الحائط الذي يُستَنَدُ إليه كلامه لنقد الإسلام والمسلمين..

في هذه ‹الأبنية من الورق› كما وصف هو كتابه ‹اللّزوميّات› – أعلن في المقدّمة أنّ فيها ما هو تمجيد لله الذي شرف عن التّمجيد. ولكن فيه الكثير من نقد واقعه السّياسي والإجتماعي والتّدين الجاهل، فلا يضرّنا شيئ إن ماشينا شيخ المعرّة في نقده للنّاس؛

عِلْيَة وسَفَلَة..

أوّل بيت قاله في لزوميّاته:

أُولوا الفَضْلِ في أوطانهم غرباءُ تشذُّ وتنأى عنهم القرباءُ

كانت الغربة هاجس الشّيخ، وهي هاجس أهل الفهم والعلم، فإمّا أن تطحنهم، وإمّا أن يُسقون بلحائها فتصلب أعوادهم وتتفتّق أذهانهم.

هاجس الغربة لقلّة الصّديق، وعي السّامع، وجلد الفاجر، وعجز التّقي، لازم الشّيخ حتّى آخر أبياته:

الدّهرُ لا تأمنه لقوّة تزقّ أفراخاً لها بالسَّلَى
إنْ يرحل النّاس ولم أرتحل فعن قضاء لم يفوّض إليّ
خلفت من بَعْدِ رجال مضَوْا وذاك شرّ لي وشرّ عليّ

كلماته هذه هي ترديد كلمات عائشة الصّدّيقة المبرّأة من فوق سبع سماوات:

ومضى الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

أمّا الموت فهو راحة هذا القلق، وهو القاطع لهذه الغربة: «بل الرّفيق الأعلى» كما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أمّا الشّيخ فيقول:

بني الدّهرِ مهلاً إن ذممت فعالكم فإنّي بنفسي لا محالة أبدأ
متى يتقضّى الوقت والله قادر فنسكنُ في هذا التّرابِ ونهدأ
تجاوز هذا الجسمُ و الرّوح برهة فما برحت تأذى بذاك وتصدأ

هل هناك إنصاف أكثر من هذا: لقد ذممت أفعالي قبل أن أذمّ أفعالكم. إنّه قلق وهاجس البحث عن المعالي وشرف المكارم:

كَمْ وَعَظَ الواعظون منّا وقام في الأرض أنبياءُ
فانصرفوا والبلاء باقٍ ولم يزل داؤك العياءُ

لكن ماذا يفعل من يعيش بين:

أراهم يضحكون إليّ غشّا وتغشاني المشاقص والحظاء[1]

(1) المشاقص: النّصال العريضة، والحظاء: السّهام الصّغيرة.

فلست لهم وإن حـــربوا أليـــفـــا   كـــــمــــــا لم تـــأتـلف ذال وظـاء

وهل له غير الشكوى إلى الله:

إلى الله أشكو مـهـجـة لا تطيـعني   وعـالم ســوء ليس فـيــه رشـيــد
حـجىً مـثـل مـهـجـورِ المنازل دائرٌ   وجـهـل كـمـسكون الدّيار مـشـيـد

أمّا إن أردت المعاشرة ولم ترض بالهروب فلا بدّ من الصّبر:

من عـاشَـرَ النّاس لم يعدمْ نفـاقـهم   فـمــا يفــوهونَ من حقّ بتــصــريح

قل لنا ياشيخ ما شرّهم:

ومن عـاش بينَ النّاس لم يخلُ من أذى   بمـــا قـــال واشٍ أو تكلّم حـــاســـدُ

نعم إنّه إمّا واش يكذب عليك الشرّ، نمّام منافق، أو حاسد يتمنّى لك زوال الخير.. إنّها طامّة وأيّ طامّة..

مع هاجس الغربة ماذا يطلب الشّيخ وإلى ماذا يسعى؟:

من أحْسَنِ الدّهر وقتاً ساعةٌ سلِمَت   من الشّرور وفـيـهـا صـاحبٌ حـدث

لكن أنّى له هذه السّاعة وأين سيجد هذا الصّديق؟:

عـرفت سـجـايا الدّهر أمّـا شروره   فنقـــدٌ وأمّـــا خـــيـــره فـــوعـــود

وحين نستنطق الشّيخ عن الزّمن الذي يعيبه، والوقت الذي يشتمه يسارع مجيبا:

ألا إنّ أخـــلاقَ الفـــتى كـــزمـــانهِ   فـــمنهنّ بيضٌ في العـيـــونِ وســـود

زدنا يا شيخ ماذا تريد؟ وماذا يريد النّاس منك؟:

خـــذي رأيي وَحَـــسْـــبُكِ ذاك منّي   على مـــــا فيّ من عـــــوجٍ وأمْتِ[1]
ومـــاذا يبـــتـــغي الجلســـاءُ عندي   أرادوا منطقي وأردتُ صـــمـــتي

هيه! ماذا أيضا:

---

(1) أمت: ارتفاع.

فـــلطيبُ أرضِ اللهِ مـــا قلَّ أهلُهُ و لم ينأ فيه القوتُ عن يَدِكَ السَّفر

لم نرتو بعد فقل نسمع:

وجدت النّاس كـالأرضـين شـتّى فـــمن نمث يُرتّعُ أو حـــرار
جليس الخــيــر كــالدّاريِّ ألقى لك الرّيا كـــمنتــسم العـــرار[1]
ولكن ضـــدّه في الرّبع قـــين أطار إليك مـــفـــتـــرق الشّـــرار
يبــاكـــر ظالمـــا جنفـــا وغـــراً كـــمـــا بكرَ الظّليمُ إلى العـــرار[2]

فماذا عن صوفيّة زمانك؟:

صــوفيّــة شــهـدتْ للعقل نسبـتــهم بأنّهم ضـــان صــوفٍ نُطحــهــا يَقِصُ
تواجَــدَ القــومُ مِنْ نُسك بزعــمـــهمُ واللهُ يشــهــد مــا زادوا كمـا نقـصـوا[3]

أو غيرها؟:

صوفيّـة مـا رضـوا للصّوف نسبتهم حتّى ادّعـوا أنّهم من طاعـة صـوّفـوا
تبــارك الله! دهـر حــشــوه كــذب فــالمــرء منّا بغيــر الحقّ مــوصــوف

فهل معنى ما تقول أنّك تنكر التّعبّد؟:

ذوو النُّسك خير النّاس في كلّ موطنٍ وزيّهم بين المـعـــاشـــر خـــيـــر زيّ

فهل لك قول في التّوراة؟:

يا آل يعـــقـــوبَ مـــا توراتكم نبـــأ من وَرْيِ زند ولكن وري أكـــبـــاد[4]
إن كـــان لم يبــدُ للأغـمــارِ ســـركمُ فـــإنّــه لي في أكــنـانــه بــادي
لقـــد أكلتم بأمـــر كلّه كـــذب على تقـــادم أزمـــــان وآباد
ورابني أنّ أحـــبـــارا لكم رســـخـــوا في العلم ليسـوا على حـالٍ بعـبّـاد

(1) الدّاري: بائع المسك ، والعرار: حبّ بهار رائحته طيّبة.

(2) يقول أنّ ضد الخير الذي يرويك وتشمّ منه الطّيب هو الرّجل العبد الذي يرمي لك بالشّر وكثرة الصّياح، ويلاقيك بصوت صارخ ظالما ومائلا عن الحقّ.

(3) النّقص: الصّياح والرّقص.

(4) الزّند هو بمعنى العقل، ووري الكبد هو قيحها..

قل لنا عن الرّهبان: أتركوا الدّنيا زهدا أم لماذا؟:

الرّاهبُ المسجونُ فرطَ عبادةٍ ... من حبّ دنياه الكذوب مولّهُ
أعرفتم أصحابكم بحقيقة ... أم كلّكم عنه غبيّ أبلهُ؟
نكر التألّه فادّعوه تخرّصا ... ما هذه أفعال من يتألّه

وأخيرا ماذا عن أهل السّياسة عندكم؟:

يسوسون الأنامَ بغيرِ عقلٍ ... فينفذ أمرهمْ ويُقال ساسه
فأفٍّ من الحياة وأفّ منّي ... ومن زمن رئاسته خساسه

أمّا الحال ففي البلاد بلاء:

يكفيك حُزناً ذهابُ الصّالحين معاً ... ونحن بعدهم في الأرض قُطّانُ
إنّ العراقَ وإنّ الشّامَ من زمن ... صفران ما بهما للملك سلطانُ
ساس الأنامَ شياطينٌ مُسلّطةٌ ... في كلّ مصرَ من الوالين شيطانُ
مَنْ لَيْسَ يحفلُ خَمْصَ النّاس كلّهم ... إنْ باتَ يشربُ خمراً وهو مبطانُ
متى يقومُ إمامٌ يستقيدُ لنا ... فتعرفَ العدلَ أجيالٌ وغيطانُ

رحمة بن الله

المجلة:

قال جار الله (الزّمخشري): كلّ كتابٍ حكمة عند العرب مجلّةٌ. قال النّابغة:

مجلّتهم ذاتُ الإله ودينُهمْ
قويمٌ فما يرجُون غيرَ العواقب

أي مجلّتهم إلهيّة، ودينهم مستقيم. ثمّ إمّا أن تكون المجلّةَ مَصدرا، كالمذلّة،فسمّي بها، كالكتاب مصدرِ كتب؛ وإمّا أن تكون بمعنى الجلالِ، وهي مِفعَلَةٌ من جَلّ سَمِّيَ بها، لجلال الحكمة..

‹ النّعم السّوابغ في شرح الكلم النّوابغ ›

التّفتازاني

سلسلة:

الذب الأحمد

عن شريعة أحمد ﷺ

بغية القاصد في بيان قواعد المصالح والمفاسد (2)

بقلم الشيخ/

أبي الوليـــد الأنصــــاري

فصل في بيان مستند قواعد المصالح والمفاسد من الكتاب والسنّة

والمراد ههنا ذكر جملة من الأدلّة الدّالة على أنّ الشّريعة قد راعت مصالح العباد في الدّنيا والآخرة، وإليها معاد ما ذكره الأئمّة رحمهم الله تعالى من القواعد في هذا الباب لا على سبيل التّقصّي والحصر لما ورد من الأدلّة في ذلك فإنّه ممّا لا سبيل إليه أو هو على الأقلّ ممّا يصعب حصره وتتبّعه، إذ أنّه ما من أمر ونهي في الشّريعة إلاّ وقد روعي فيه مصالح المكلّفين في الدّارين أو إحداهما، فما تُتُبِّعَ من ذلك وظهر وجهه ممّا كان معقول المعنى صلح دليلا في هذا المقام، وإنّما وضعت هذه القواعد بعد التّتبّع والإستقراء التّام لأدلّة الشّريعة، إلاّ أنّنا نذكر بعضها ههنا لنبيّن أنّ المصالح والمفاسد مردّها إلى الشّرع وهي منضبطة به لا إلى التّحكّم بالأقوال الفاسدة والرّأي المذموم، فنقول والله المستعان: قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: (لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النّاس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للنّاس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إنّ الله قوي عزيز) [الحديد 25].

فبيّن سبحانه أنّه أرسل جميع رسله بما به قوام مصالح الدّنيا والآخرة، فإنّه أرسلهم بالمفصّلات من البيان والدّلائل وأنزل معهم الكتاب بالأحكام والشّرائع والميزان بالعدل، فالكتاب فيه دين النّاس الذي يعملون ويتركون، وفيه بيان ما حرّمه الله تعالى عليهم ممّا

فيه مفسدة الدّنيا والآخرة أو إحداهما، وما أمرهم به أو أحلّه لهم ممّا فيه تحقيق مصلحة الدّنيا والآخرة أو إحداهما، وأمّا الميزان فقد روى ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره عن قتادة أنّه «العدل»، وعن ابن زيد أنّه «ما يعمل النّاس ويتعاطون عليه في الدّنيا من معايشهم التي يأخذون ويعطون، يأخذون بميزان ويعطون بميزان، يعرف ما يأخذ وما يعطي»(1). قلت: وحمله على المعنى الأعمّ وهو المروي عن قتادة أولى، فإنّ العدل هو قوام السّماوات والأرض، وما أمر به الشّارع فهو عين العدل وما نهى عنه فهو عين الظّلم، والعدل هو أصل المصالح المطلوب تحصيلها، كما أنّ الظّلم هو أصل المفاسد المطلوب دفعها كما قال تعالى: (إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلّكم تذكّرون) [الإسراء 90]، فقابل سبحانه بين العدل الذي هو التّوحيد في هذا الموضع كما ذكره ابن جرير عن ابن عبّاس وبين البغي الذي هو الكبر والظّلم كما رواه عنه أيضا(2)، والظّلم الذي يقابل التّوحيد في هذا الموضع هو الشّرك كما قال تعالى (إنّ الشّرك لظلم عظيم)[لقمان13]. وافتتح سبحانه المأمورات في الآية بالعدل أعني التّوحيد لأنّه أساس المصالح وميزانها، فبه توزن الأعمال والأقوال، وبه يوزن الرّجال وإليه المرجع فيما يكون ظاهره التّعارض من المصالح والمنافع، وكلّ ما أمرَ به العبد من التّكاليف تبع له وفرع عليه، ولذا ذكر بعده الإحسان وإيتاء ذي القربى، وأمّا المنهيّات فإنّها وإن كانت مفاسد كلّها صغيرها وكبيرها فإنّ مآلها إلى الظّلم والبغي، وأعظم الظّلم الشّرك بالله تبارك وتعالى، ولا يزال العبد يتهاون في فعل المحظور حتّى يؤدّي ذلك به إلى أعظم الظّلم نسأل الله تعالى السّلامة والعافية، ولذا ذكر البغي في المنهيّات بعد ذكر الفحشاء والمنكر لأنّهما سبيل إليه.

ومن الأدلّة كذلك قول الله تبارك وتعالى: (وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله فإن انتهوا فإنّ الله بما يعملون بصير) [الأنفال 39] قلت: وهذه الآية من أعظم الآيات المقرّرة لهذه القواعد الدّالة على اعتبار المصالح والمفاسد وتفاوت مراتبها، فإنّ الله سبحانه أمر فيها بقتال أهل الشّرك والكفر حتّى لا يكون شرك ولا كفر ولا يعبد إلاّ الله وحده، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو الفتنة، ويكون الدّين كلّه لله والطّاعة والعبادة خالصة له وحده دون غيره كما رُوي معنى ذلك عن ابن عبّاس والحسن وقتادة والسّدّي وغيرهم(3) . فأمر سبحانه بالقتال مع ما يترتّب عليه من مفسدة تلحق بالأرواح

(1) تفسير الطّبري 13/237.

(2) المصدر السّابق 8/162.

(3) المصدر السّابق 6/248.

والدّماء والأبدان دفْعا للمفسدة الأعظم وهي مفسدة الكفر بالله تعالى، واتّخاذ الأنداد والشّركاء، ويأتي زيادة إيضاح لهذه الآية إن شاء الله تعالى.

ومنها قوله تعالى: (يسئلونك عن الشّهر الحرام قتالٍ فيه قل قتال فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتّى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدّنيا والآخرة وأولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون) [البقرة 217]. فبيّن سبحانه أنّ مفسدة الكفر بالله والصّدّ عن سبيله وعن المسجد الحرام وإخراج أهله وولاته أعظم عند الله تعالى من القتل. أقول وبالله تعالى التّوفيق: الآيات الدّالة على هذا الأصل الذي نحن بصدد الحديث عنه كثيرة جداً، وقد قال الشّاطبي رحمه الله تعالى في معرض بيان ذلك ردّاً على قول الرّازي بأنّ أحكام الله تعالى ليست معلّلة بعلّة البتّة كما أنّ أفعاله كذلك: «والمعتمد إنّما هو أنّا استقرينا من الشّريعة أنّها وضعت لمصالح العباد استقراءً لا ينازع فيه الرّازي ولا غيره، فإنّ الله تعالى يقول في بعثة الرّسل وهو الأصل: (رسلا مبشّرين ومنذرين لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل) [النساء 165]، (وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين) [الأنبياء 107]، وقال في أصل الخلقة: (وهو الذي خلق السّماوات والأرض في ستّة أيّام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا) [هود 7]، (وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون) [الذاريات 56]، (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) [الملك 2] وأمّا التّعاليل لتفاصيل الأحكام في الكتاب والسّنّة فأكثر من أن تحصى، كقوله بعد آية الوضوء: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم) [المائدة 6]، وقال في الصّيام: (كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتّقون) [البقرة 183]، وفي الصّلاة: (إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) [العنكبوت 45]، وقال في القبلة: (فولّوا وجوهكم شطره لئلا يكون للنّاس عليكم حجّة) [البقرة 150]، وفي الجهاد: (أذن للذين يقاتلون بأنّهم ظلموا) [الحج 39]، وفي القصاص: (ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب) [البقرة 179]، وفي التّقرير على التّوحيد: (ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين) [الأعراف 172] والمقصود التّنبيه.»(1) انتهى كلامه بحروفه رحمه الله، فهذه جملة ممّا في الكتاب العزيز تُغني عن تطويل العبارة وتقوم مقام التّنبيه والإشارة، تقرّر أنّ وضع الشّرائع إنّما هو لمصالح العباد في الدّنيا والآخرة، وهي الكلّيات التي ترجع إليها القواعد المقرّرة في هذا الباب، وأمّا ما ورد في السّنّة القوليّة والفعليّة وما رُوي عن

---

(1) الموافقات 1/322 ط/ دار المعرفة.

الصّدر الأوّل من صحابة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم ممّا يقرّر ذلك، فمنه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، واللّفظ للبخاري من حديث عبادة بن الصّامت رضي الله عنه -وكان شهد بدرا وهو أحد النّقباء ليلة العقبة- أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن رضي منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب في الدّنيا فهو كفّارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ستره الله عليه، فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»، فبايعناه على ذلك.. وجه الدّليل في هذا الحديث أنّ الشّارع هنا قد ذكر المنهيّات على سبيل التّفصيل وقدّم ذكرها بخلاف المأمورات فإنّه ذكرها على سبيل الإجمال في قوله «ولا تعصوا» إذ العصيان مخالفة الأمر وأخّر ذكرها بعد ذكر المنهيّات فدلّ على أنّ اجتناب المفاسد مقدّم على اجتلاب المصالح، نبّه على معنى هذه النّكتة الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى(1). قلت: وقد تقرّر عند الأئمّة رحمهم الله تعالى أنّ أصول المصالح التي جاءت الشّريعة بتحصيلها خمسة:

- حفظ مصالح الدّين.
- حفظ مصالح الأنفس.
- حفظ مصالح الأعراض.
- حفظ مصالح الأموال.
- حفظ مصالح العقول.

وقد نبّه في هذا الحديث على أصول المصالح هذه بذكر المفاسد التي تعرض لكلّ منها، فالنّهي عن الشّرك لحفظ مصالح الدّين، والنّهي عن السّرقة لحفظ مصالح الأموال والممتلكات، والنّهي عن الزّنا لحفظ مصالح الأعراض والأنساب، والنّهي عن القتل لحفظ مصالح الأنفس والمحافظة على الدّماء، والنّهي عن البهتان وإن كان عامّا في كلّ ذلك إلاّ أنّه يشمل المحافظة على العقول، فإنّ البهتان هو الكذب الذي يبهت سامعه، وقال الحافظ ابن حجر: «يحتمل أن يكون المراد بما بين الأيدي والأرجل القلب لأنّه هو الذي يترجم اللّسان عنه فلذلك نسب إليه الإفتراء، كأنّ المعنى لا ترموا أحدا بكذب تزوّرونه في أنفسكم ثمّ تبهتون صاحبه بألسنتكم» انتهى، وقد يحمل البهتان على معنى يقع أعمّ من اختصاصه باللّسان بدليل قوله: «تفترونه بين أيديكم وأرجلكم» فإنّ الأيدي والأرجل آلات الأفعال وهي العوامل والحوامل للمباشرة والسّعي فيشمل كلّ فعل يؤدّي إلى لحوق

---

(1) فتح الباري 64/1.

المفسدة بشيء من الكلّيّات الخمس المذكورة، ومنها الجناية على العقل بشرب الخمر مثلا، وممّا يؤيّد ذلك قوله في الحديث بعده: «ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدّنيا فهو كفّارة له» فإنّه أشار بذلك إلى الحدود، ومنها ما شرع لدرء المفسدة الحاصلة على العقل وتلافيها، وفي هذا دليل أيضا على أنّ الشّارع قد شرع من الحدود والأحكام ما يضمن الحفاظ على هذه الأصول تحقيقا لمصالحها ودفعا لمفاسدها كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ومنه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أيّ الذّنب أعظم؟ قال:«أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك»، قلت: إنّ ذلك لعظيم، قلت: ثمّ أيّ؟ قال: «وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك»، قلت: ثمّ أيّ؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك». فقدّم في هذا الحديث الشّرك بالله عزّ وجلّ لأنّه أصل المفاسد وأعظمها على الإطلاق، وتلافيه واجتنابه ومحاربته تحقيق لأعظم المصالح على الإطلاق وهي توحيد الله تعالى، ثمّ عقّب بالقتل لما فيه من تلف للنّفوس وإزهاق للأرواح ممّا يؤدّي إلى فساد الحياة بذهاب الأمن وحصول الخوف والجزع، وإنّما خصّ الأولاد بالذّكر -كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله- لكونه يجمع إلى القتل قطيعة الرّحم، ولكونه كان منتشرا بينهم فالعناية بالنّهي عنه آكد، ولأنّه كان شائعا فيهم وأدُ البنات وقتل البنين خشية الإملاق أو خصّهم بالذّكر لأنّهم بصدد أن لا يدافعوا عن أنفسهم(1). وهذه المفسدة على عظمها إلاّ أنّها أهون من الأولى لقوله تعالى: (والفتنة أكبر من القتل) [البقرة 217]، ثمّ ذكر الإعتداء على الأعراض وهو ثالثها في المنزلة، وإنّما خصّه بحليلة الجار لأنّه يجمع إلى إثم الزّنا تضييع حقّ الجوار المؤدّي إلى التّناحر والتّنازع والخلاف والشّقاق.

ومنه ما في الصّحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ أناسا من الأنصار قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق يعطي رجالا من قريش المائة من الإبل فقالوا: يغفر الله لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يعطي قريشا ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس فَحُدِّث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار، فجمعهم في قبّة أدم، ولم يدعُ معهم أحدا غيرهم، فلمّا اجتمعوا جاءهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «ما كان حديث بلغني عنكم؟»، قال فقهاؤهم: أمّا ذوو آرائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأمّا أناس منّا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يعطي قريشا ويترك الأنصار

---

(1) فتح الباري 1/64.

وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله صلّي الله عليه وسلّم: «إنّي أعطي رجالا حديث عهدهم بكفر، أما ترضون أن يذهب النّاس بالأموال وترجعوا إلى رحالكم برسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فوالله ما تنقلبون به خير ممّا ينقلبون به»، قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا، فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتّى تلقوا الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم على الحوض»، وعند البخاري نحوه كذلك من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم وفيه: فخطبهم فقال: «يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي، وكنتم متفرّقين فألّفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي...؟»، كلّما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمنّ، قال: «ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم...؟»، قال كلّما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمنّ، قال: «لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا، ألا ترضون أن يذهب النّاس بالشّاة والبعير وتذهبون بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك النّاس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والنّاس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتّى تلقوني على الحوض». وفي حديث عنده كذلك، عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: أعطى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قوما ومنع آخرين فكأنّهم عتبوا عليه، فقال: «إنّي أعطي قوما أخاف ظلمهم وجزعهم، وأكلُ أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء، منهم عمرو بن تغلب» فقال عمرو بن تغلب: ما أحبّ أنّ لي بكلمة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حمرَ النّعم. ومع أنّ وجه الدّلالة في هذه الأحاديث على مراعاة قاعدة المصالح والمفاسد بيّن ظاهر إلاّ أنّني أورد هنا ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في ذلك ملخّصا من كلام ابن القيّم رحمه الله على هذا الحديث فإنّه نفيس جداً، قال ابن القيّم رحمه الله: «واقتضت حكمته أيضا أنّ غنائم الكفّار لما حصلت ثمّ قسّمت على من لم يتمكّن الإيمان من قلبه لما بقي فيه من الطّابع البشري في محبّة المال، فقسّمه فيهم لتطمئنّ قلوبهم وتجتمع على محبّته، لأنّها جبلت على حبّ من أحسن إليها، ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها لأنّه لو قسّم ذلك فيهم لكان مقصورا عليهم، بخلاف قسمته على المؤلّفة لأنّ فيه استجلابَ قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم، فلمّا كان ذلك العطاء سببا لدخولهم في الإسلام ولتقوية قلب من دخل فيه تبعهم من دونَهم في الدّخول فكان في ذلك عظيم المصلحة، ولذلك لم يقسم فيهم من أموال أهل مكّة عند فتحها قليلا ولا كثيرا مع احتياج الجيوش إلى المال الذي يعينهم على ما هم فيه، فحرّك الله قلوب المشركين لغزوهم، فرأى كثيرهم أن يخرجوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم فكانوا غنيمة للمسلمين، ولو لم يقذف الله في قلب

رئيسهم أنّ سوقهم معه هو الصّواب لكان الرّأي ما أشار إليه دريد فخالفه فكان ذلك سببا لتصييرهم غنيمة للمسلمين، ثمّ اقتضت تلك الحكمة أن تقسم تلك الغنائم في المؤلّفة قلوبهم ويوكل من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه، ثمّ كان من تمام التّأليف ردّ من سُبي منهم إليهم فانشرحت صدورهم للإسلام فدخلوا طائعين راغبين، وجبر ذلك قلوب أهل مكّة بما نالهم من النّصر والغنيمة عمّا حصل لهم من الكسر والرّعب، فصُرِف عنهم شرّ من كان يجاورهم من أشدّ العرب من هوازن وثقيف بما وقع بهم من الكسرة وبما قيّض الله لهم من الدّخول في الإسلام، ولولا ذلك، ما كان أهل مكّة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدّتها وكثرتها، وأمّا قصّة الأنصار وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤساؤهم بأنّ ذلك كان من بعض أتباعهم، ولمّا شرح لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين ورأوا أنّ الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عَوْد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بلادهم فسلُّوا عن الشّاة والبعير، والسّبايا من الأنثى والصّغير، بما حازوه من الفوز العظيم، ومجاورة النّبي الكريم لهم حيّا وميّتا، وهذا دأب الحكيم يعطي كلّ أحد ما يناسبه. انتهى.

ومنه كذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما واللّفظ للبخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إيّاكم والجلوس على الطّرقات»، فقالوا: ما لنا بدّ إنّما هي مجالسنا نتحدّث فيها، قال:«فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطّريق حقّها»، قالوا: وما هو حقّ الطّريق؟ قال: «غضّ البصر وكفّ الأذى وردّ السّلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر.» . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «ويؤخذ منه أنّ دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة لندبه أوّلا إلى ترك الجلوس مع ما فيه من الأجر لمن عمل بحقّ الطّريق، وذلك أنّ الإحتياط لطلب السّلامة آكد من الطّمع في الزّيادة. انتهى.

ومنه كذلك حديث بول الأعرابي في المسجد وهو ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والتّرمذي والنّسائي وابن ماجة في السّنن ولفظه عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله النّاس، فقال لهم النّبي صلّى الله عليه وسلّم: «دعوه، وأهريقوا على بوله سجلا من ماء – أو ذنوبا من ماء – فإنّما بعثتم ميسّرين ولم تبعثوا معسّرين»، ورواه البخاري كذلك من حديث أنس رضي الله وفيه: «فصاح النّاس به» وعند مسلم: «فقال الصّحابة مه مه»، ووجه الدّليل هنا أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم أمرهم بالكفّ عن الأعرابي لمّا كان زجره قد يؤدّي إلى مفاسد أعظم من مفسدة بوله منها تلويث مواضع في المسجد، ومنها تلويث ثيابه وتأذّيه

بحبس بوله، وقد وقع في رواية البخاري من حديث أنس أخرجها في كتاب الأدب أنّه عليه الصّلاة والسّلام قال: «لا تُزْرِمُوه» بضمّ أوّله وسكون الزّاي وكسر الرّاء من الإزرام أي لا تقطعوا عليه بوله، ومنها ما قد يترتّب على الإغلاظ عليه في الإنكار من إعراضه عن الحقّ وتعلّمه وقبوله كما قال تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم: (ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضّوا من حولك) [آل عمران 159]، فدفع عليه الصّلاة والسّلام هذه المفاسد كلّها بارتكاب ما هو أضعف منها ضررا، وهو احتمال مفسدة بوله في المسجد، وأرشدهم إلى إزالتها بعد زوال المانع من ذلك، بأن يهريقوا عليه سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء مع حصول مصلحة تعليمه وإرشاده بالرّفق به وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ولا سبّ ولا تأنيب، وعند ابن حبّان في حديث أبي هريرة: فقال الأعرابي بعد أن فقه في الإسلام فقام إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم: بأبي أنت وأمّي، فلم يؤنّب ولم يسبّ.

قلت: وممّن أشار إلى هذا الحافظ رحمه الله في الفتح فإنّه قال: «لم ينكر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم على الصّحابة ولم يقل لهم لِمَ نهيتم الأعرابي..؟ بل أمرهم بالكفّ عنه للمصلحة الرّاجحة وهو دفع أعظم المفسدتين باحتمال أيسرهما وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما»(1).

تنبيه: «هذا الموضع المذكور هنا من كلام الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح لم يشر له الحافظ الشّيخ ثناء الله الزّاهدي في كتابه ‹توجيه القاري إلى القواعد والفوائد الأصوليّة والحديثيّة والإسناديّة في فتح الباري› في مبحث قواعد الفقه الكليّة من الكتاب – والله أعلم» (2).

أقول: وممّن نبّه على استنباط هذه القاعدة من هذا الحديث كذلك الصّنعاني رحمه الله في السّبُل حيث قال: «ومنها (أي من فوائد الحديث) دفع أعظم المضرّتين بأخفّهما لأنّه لو قطع عليه البول لأضرّ به وكان يحصل من تقويمه من محلّه مع ما قد حصل من تنجيس المسجد تنجيس بدنه وثيابه ومواضع من المسجد غير الذي قد وقع فيه البول أوّلا.»(3) انتهى.

ثمّ إنّي رأيت الإمام بدر الدّين الزّركشي في كتابه ‹المنثور من القواعد› (4) قد نقل الاستدلال نفسه عن الإمام ابن دقيق العيد، فالحمد لله على ما ألهم وعلّم..

ومنه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما واللّفظ للبخاري، عن عائشة رضي الله

---

(1) فتح الباري 1/325.

(2) انظر توجيه القاري 149 .

(3) سبل السّلام ج1/ باب المياه الحديث العاشر.

(4) المنثور من القواعد للزّركشي 1/349.

عنها قالت: سألت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن الجدر، أمن البيت هو؟ قال:«نعم»، قلت: فمالهم لم يدخلوه في البيت..؟ قال: «إنّ قومك قصرت بهم النّفقة»، قلت: فما شأن بابه مرتفعا؟ قال: «فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤوا ويمنعوا من شاؤوا، ولولا أنّ قومك حديث عهدهم بالجاهليّة، فأخاف أن تنكر قلوبهم، أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه الأرض». أخرجه البخاري بألفاظ عدّة في باب فضل مكّة وبنيانها، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرحه: «وفيه تقديم الأهمّ فالأهمّ من دفع المفسدة وجلب المصلحة وأنّهما إذا تعارضا بُدئ بدفع المفسدة، وأنّ المفسدة إذا أُمن وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة.».

قال مقيّده عفا الله عنه: ما ذكره الحافظ هنا لم ينبّه عليه الزّاهدي كذلك في ‹توجيه القاري›، والله أعلم. وما ذكره هنا من الدّلائل على هذا الباب الذي نحن بصدده بيّن ظاهر، والحمد لله ربّ العالمين.

ومنه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها ومن حديث أنس بن مالك وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، ولفظه من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصّلاة فابدأوا بالعَشاء ولا يعجل حتّى يفرغ منه» وكان ابن عمر يوضع له الطّعام وتقام الصّلاة، فلا يأتيها حتّى يفرغ، وإنّه يسمع قراءة الإمام.. ووجه الدّليل فيه أنّ الشّارع الكريم قدّم مصلحة الخشوع في الصّلاة على مصلحة إدراك أوّل الوقت، وذلك لمّا كان حضور القلب في الصّلاة وانشغاله بها مقصودا فيها، ودفع أعظم المفسدتين وهي انشغال القلب عنها بغيرها بارتكاب أخفّها وهو فوات أوّل الوقت والله أعلم.

ومنه ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والإمام أحمد في مسنده واللّفظ للبخاري من حديث سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلا هو أعجبهم إليّ، فقلت: يا رسول الله! مالك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمنا؛ فقال: «أو مسلما»، فسكتُّ قليلا ثمّ غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي فقلت: يا رسول الله! مالك عن فلان؟ فوالله إنّي لأراه مؤمنا؛ فقال: «أو مسلما»، فسكتُّ قليلا ثمّ غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثمّ قال: «يا سعد إنّي لأعطي الرّجل وغيره أحبّ إليّ منه، خشية أن يكبّه الله في النّار.». قال الحافظ رحمه الله تعالى: «الرّجل المتروك اسمه جُعيل بن سراقة الضّمري سمّاه الواقدي في المغازي»(1). قلت: ووجه الدّليل في هذا الحديث

(1) فتح الباري 80/1.

أشبه ما يكون بحديث فيء هوازن الذي مضى ذكره، وهو أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أعطى أولئك الرّهط وحرم جُعيلا مع كونه أحبّ إليه ممّن أعطى تقديما لمصلحة تأليف قلوبهم على الإسلام على مصلحة إعطائه، وترجيحا لدفع المفسدة الأعظم وهي أنّه لو ترك إعطاء المؤلّف قلبه لم يؤمن ارتداده فيكون من أهل النّار، على مفسدة منعه جعيلا رضي الله عنه، والله أعلم.

ومنه كذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: لمّا صالح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أهل الحديبيّة، كتب عليّ بينهم كتابا، فكتب محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال المشركون: لا تكتب محمّد رسول الله، لو كنت رسولا لم نقاتلك.. فقال لعليّ: «امحه»، فقال عليّ: ما أنا بالذي أمحوه، فمحاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بيده، وصالحهم أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيّام، ولا يدخلوها إلاّ بجلبان السّلاح، فسألوه ما جلبان السّلاح؟ فقال: «القراب بما فيه»، والحديث أخرجه كذلك النّسائي في السّنن وأحمد في مسنده، وعند النّسائي من حديث عليّ رضي الله عنه زيادة من قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهي أنّ عليّا لمّا رفض أن يمحوه ومحاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «أما إنّ لك مثلها، وستأتيها وأنت مضطرّ». قال الحافظ رحمه الله تعالى: «يشير صلّى الله عليه وسلّم إلى ما وقع لعليّ يوم الحكمين فكان كذلك...»(1). قلت: أمّا ما كان من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يوم الحديبيّة مع المشركين فوجه الدّليل فيه أنّه قدّم صلوات الله عليه وسلامه المصلحة العظمى هنا وهي إمضاؤه الصّلح لما فيه من النّفع العظيم للإسلام والمسلمين على مصلحة إثبات كونه رسول الله في كتاب الصّلح، إذ كان الصّلح مع المشركين ولم يكن إنكارهم نبوّته ولا محوه نفسه من الكتاب محوا لنفسه من النّبوّة بل هو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أقرّوا بذلك أو أنكروه، والله أعلم، وأمّا ما كان لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فإنّه كان يوم الحكمين كما قال الحافظ رحمه الله تعالى، وذلك أنّه لمّا أمر معاوية رضي الله عنه أصحابه برفع المصاحف وبما أشار عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه أبى أصحاب عليّ عليه إلاّ التّحكيم ثمّ اختلفوا عليه وقالوا: قال الله تعالى: (فقاتلوا التي تبغي) ولم يقل حاكموهم، فإن عدت إلى قتالهم وأقررت على نفسك بالكفر إذ أجبتهم إلى التّحكيم وإلاّ نابذناك وقاتلناك، فأبى رضي الله عنه وقد أعطى العهود والمواثيق على الصّلح، ولمّا كتبت وثيقة الصّلح سأله أهل الشّام أن يمحوَ عن الوثيقة قوله أمير المؤمنين فمحاها رضي الله عنه تحقيقا لأعظم المصلحتين وهي الصّلح وجمع كلمة أهل الإسلام، ودفعا لأعظم

(1) فتح الباري 7/503.

المفسدتين وهي تفرّقهم واختلافهم، وكان تصديقا لما أخبر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. وما كان مراعاة ذلك منه رضي الله عنه -تحقيقا للمصلحة العظمى- محوا لنفسه من الخلافة والإمارة، بل الشأن كان كما قال ابن عبّاس للخوارج كما رواه أحمد في مسنده: «والله لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خير من عليّ، وقد محا نفسه، ولم يكن ذلك يمحوه عن النّبوّة... الحديث».

وفي حديث الإفك الطّويل الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والأربعة في السّنن من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم دعا أسامة بن زيد وعليّ بن أبي طالب واستشارهما، قالت (عائشة): «وأمّا عليّ ابن أبي طالب فقال: يارسول الله لم يضيّق الله عليك والنّساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك..» وقول عليّ هذا رضي الله عنه هو موضع الشّاهد ووجهه ما ذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في شرحه فقال: هذا الكلام الذي قاله عليّ حمله عليه ترجيح جانب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لما رأى عنده من القلق والغمّ بسبب القول الذي قيل، وكان صلّى الله عليه وسلّم شديد الغيرة فرأى عليّ أنّه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقّق براءتها فيمكن رجعتها.. ويستفاد منه ارتكاب أخفّ الضّررين لذهاب أشدّهما.. وقال النّووي: رأى عليّ أنّ ذلك هو المصلحة في حقّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه فبذل جهده في النّصيحة لإراحة خاطره صلّى الله عليه وسلّم(1) انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

قلت: وما قاله بحمد الله بيّن ظاهر وهو دليل على أنّ مراعاة المصالح والمفاسد أمر مقرّر في شريعتنا وعند أصحاب نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، وممّا يدلّ على عمل الصّحابة به كذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن زيد بن وهب قال: مررت بالرّبذة فإذا أنا بأبي ذرّ رضي الله عنه، فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا...؟ قال: كنت بالشّام فاختلفت أنا ومعاوية في (والذين يكنزون الذّهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله) قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إليّ عثمان أن اقْدَم المدينة، فقدمتها فكثر عليّ النّاس حتّى لكأنّهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيّت فكنت قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليّ حبشيًا لسمعت وأطعت..

قلت: الحديث أخرجه البخاري في كتاب الزّكاة باب ما أدّي زكاته فليس بكنز، وقد قال الحافظ رحمه الله في شرحه: «أمره عثمان بالتّنحي عن المدينة لدفع المفسدة التي خافها

---

(1) فتح الباري 8/ 468.

على غيره من مذهبه المذكور، فاختار الرّبذة »وقال في بيان فوائد الحديث: «وفيه.. تقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة، لأنّ في بقاء أبي ذرّ بالمدينة مصلحة كبيرة من بثّ علمه في طالب العلم، ومع ذلك فرجح عند عثمان دفع ما يتوقّع من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشّديد في هذه المسألة...» انتهى(1).

أقول وبالله تعالى التّوفيق: إنّما ذكرت ما ذكرت في هذا الفصل مع طوله لأبيّن أنّ مردّ هذه القواعد إلى الشّرع، وأنّها توزن به، وأنّ التّرجيح بين المصالح والمفاسد وما يجب تقديمه وما لا يجب من ذلك إنّما يعرف بدليل الشّرع والدّين لا بالظّنّ والهوى، فإنّ الموضع مدحضة مزلّة، والنّاس فيه على فريقين، فرّط فيه قوم فضيّعوا من أصول هذا الدّين العظيم وأهملوا مصالحه التي دلّ الدّليل على اعتبارها وقدّموا على ذلك ممّا ظنّوه مصلحة ما لا نسبة بينه وبين الذي أخّروه، وإنّما هو كتقديم القياس على النّص بل هو أشدّ، وليتهم لم يتجاوزوا هذا الحدّ المذكور، بل زعموا أنّ ذلك هو محض الفقه وخلاصة الفهم، وأصّلوا لذلك قواعد وأصولا يبنون عليها ما يذهبون إليه بزعمهم من المسائل، وإنّما هي مع قواعدها كورك على ضلع لا يقرّ لها قرار ولا يلتئم ما بينها بحال، وهم مع ذلك يحسبونه فقها وعلما، ويطلقون عليه اصطلاحات ذكرها الأئمّة رحمهم الله تعالى ظنّا منهم أنّها اصطلاحات بلا قيد، كقولهم: هذا من باب رفع الحرج في الشّريعة، وكقولهم: هذا من باب المصالح المرسلة لا من باب الشّرائع، وكقولهم: هو من السّياسة الشّرعيّة وغير ذلك، وكلّ هذه وإن كانت من عبارات الأصوليّين والفقهاء إلاّ أنّ بينها وبين باب المصالح والمفاسد فروقا يؤدّي الجهل بها إلى فساد عظيم وشرّ كبير كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، حتّى إذا ما أنكرتَ جهلَ القوم في هذا الباب، وأتيت بنيانهم من القواعد بإقامة الدّليل والبرهان على بطلان ما أصّلوه وفساد ما ذهبوا إليه رموك بكلّ عيب ونقيصة واتّهموك بضيق الفهم وقلّة الإدراك وقالوا رجل يحسن علوم الشّرع ولا يحسن «السّياسة»، وكأنّ علوم الشّرع في واد والسّياسة في واد، ولست أرى ذلك إلاّ أثرا من آثار الكلمة الجاهليّة (لا سياسة في الدّين ولا دين في السّياسة) ويا ليت قومي يعلمون أنّ غاية ما يدّعونه من الفهم والعلم أن يعرض على فقه الدّين والشّرع، والشّرع بحمد الله تعالى لم يدع شيئا إلاّ وعلّمنا إيّاه حتّى الخراءة كما في صحيح مسلم وسنن أبي داود من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، فما ظنّك بما هو أعظم من ذلك ممّا يضبط علاقة الحاكم بالرّعيّة وواجبات كلّ منهما وعلاقة الأمّة بغيرها من الأمم، وكلّ ذلك مبناه على قواعد المصالح والمفاسد التي ضبطها وحدّها الشّارع الكريم، وليست السّياسة

---

(1) فتح الباري 3/ 275.

الشّرعيّة إلاّ ما ذكرت، وكلّ ما سوى ذلك ممّا يدّعيه القوم متى خالف شيئا ذكرناه فالقول فيه ما قاله نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه كما في الصّحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ». نعم ذكر بعض الأئمّة رحمهم الله تعالى كلاما ظاهره التّفريق بين المصالح والشّرائع ينبغي التّنبيه عليه هنا خشية أن يُحمل حَسنُه على غير وجهه أو يُغترّ بباطله، منهم الإمام الشّيخ شاه ولي الله الدّهلوي في كتابه القيّم ‹حجّة الله البالغة› فإنّه قال رحمه الله في باب الفرق بين المصالح والشّرائع كلاما محصّله أنّ الشّارع أفادنا نوعين من العلم متمايزين بأحكامهما متباينين في منازلهما: فأحد النّوعين علم المصالح والمفاسد وجعل من ذلك ما بيّنه الشّارع من تهذيب النّفس باكتساب الأخلاق النّافعة في الدّنيا والآخرة وإزالة أضدادها كما جعل منه تدبير المنزل وآداب المعاش وجعل منه سياسة المدينة وذكر أنّ هذا النّوع من العلوم غير مقدّر بمقادير معيّنة، ومُبْهَمُهُ غير مضبوط بحدود معروفة، ولا مميّز بأمارات معلومة، بل رغّب في المحامد وزهّد في الرّذائل.

والنّوع الثّاني علم الشّرائع والحدود والفرائض، وذكر أنّ ذلك ما بيّن الشّرع من المقادير: فنصب للمصالحِ مظانَّ وأماراتٍ مضبوطةً معلومةً وأدار الحكم عليها وكلّف النّاس بها وضبط أنواع البرّ بتعيين الأركان والشّروط والآداب وجعل من كلّ نوع حدّاً يطلب منهم لا محالة وحدّاً يندبون إليه من غير إيجاب(1)

ومنه ما ذكره العلاّمة العزّ بن عبد السّلام في ‹قواعد الأحكام› حيث ذكر أنّ مصالح الدّار الآخرة (2) وأسبابها ومفاسدها لا تعرف إلاّ بالشّرع، فإن خفي منها شيء طلب من أدلّة الشّرع وهي الكتاب والسّنّة والإجماع والقياس المعتبر والإستدلال الصّحيح، وأمّا مصالح الدّنيا وأسبابها ومفاسدها فمعروفة بالضّرورات والتّجارب والعادات والظّنون المعتبرات، فإن خفي شيء من ذلك طلب أدلّته، ومن أراد أن يعرف المتناسبات والمصالح والمفاسد راجحهما ومرجوحهما فليعرض ذلك على عقله بتقدير أنّ الشّرع لم يرد به ثمّ يبني عليه الأحكام فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك إلاّ ما تعبّد الله به عباده ولم يوقفهم على مصلحته أو مفسدته. انتهى كلامه.

وأقول جوابا عن كلّ ذلك وبالله وحده التّوفيق: أمّا كلام الدّهلوي رحمه الله تعالى عن المصالح والمفاسد فلم يرد به أنّ الشّارع لم يضع لها أصولا يرجع إليها ويتميّز بها ما يعتبر منها وما لا يعتبر، أو أنّ ذلك يعرف بمحض العقل ولو لم يرد بها شيء من الشّرع، فكلّ ذلك باطل مردود، وإنّما أراد أنّ الشّارع أمر بتحصيلها على سبيل الجملة وجعل لها

---

(1) الحجّة البالغة 1/ 373.

(2) في المطبوع (الدّارين) وسيأتي بيانه.

أصولا يرجع إليها وأوكل تقدير حدودها إلى ما يفي بحاجات النّاس وينتظم أمور معايشهم والدّليل على ذلك قوله بعد ذلك : وكلّ مصلحة حثّنا الشّرع عليها وكلّ مفسدة ردعنا عنها فإنّ ذلك لا يخلو من الرّجوع إلى أحد أصول ثلاثة:

أحدها: تهذيب النّفس بالخصال الأربع النّافعة في المعاد أو سائر الخصال النّافعة في الدّنيا.

وثانيها: إعلاء كلمة الحقّ وتمكين الشّرائع والسّعي في إشاعتها.

وثالثها: انتظام أمر النّاس وإصلاح ارتفاقاتهم وتهذيب رسومهم.. ومعنى رجوعها إليها أن يكون للشّيء دخل في تلك الأمور إثباتا لها أو نفيا إيّاها بأن يكون شعبة من خصلة منها أو ضداً لشعبتها أو مظنّة لوجودها أو عدمها أو متلازما معها أو مع ضدّها أو طريقا إليها أو إلى الإعراض عنها .انتهى(1).

فأنت ترى هنا أنّه ذكر أصولا للمصالح والمفاسد وضعها الشّارع لا بدّ من الرّجوع إليها والتّعويل عليها وليس الأمر -كما قد يُظنّ- موكولا إلى اصطلاحات القوم ممّا قد يظنّوه مصلحة وهو مفسدة في نفس الأمر، فتفريقه بين المصالح والمفاسد وعلم الشّرائع والحدود إنّما هو من جهة مقاديرها وحدودها المضبوطة المعلومة لا من جهة أنّ الأولى طريقها العقل والثّانية طريقها الشّرع، كيف ومصالح الآخرة لا طريق لها إلاّ الشّرع ولا تعرف إلاّ بنص الكتاب أو الثّابت من السنّة والحمد لله ربّ العالمين.

وأمّا ما ذكره العزّ بن عبد السّلام رحمه الله تعالى فما قاله في حقّ مصالح الآخرة وأنّها لا طريق لها إلاّ الشّرع فصحيح متّفق عليه، وأمّا ما ذكره من أنّ مصالح الدّنيا تدرك بالعقل فهو أشبه بمذهب المعتزلة القائلين بأنّ المصالح والمفاسد يدركها العقل قبل الشّرع، وإنّما ورد الشّرع مؤيدا ومثبتا لما ثبت بالعقل، وجعلوا ذلك طريقا تعرف به حسن الأعمال وقبحها، وقد تصدّى للردّ على كلام العزّ هذا العلاّمة الشّاطبي رحمه الله تعالى في ‹الموافقات› فقال: «وبعض النّاس قال: إنّ مصالح الدّار الآخرة ومفاسدها لا تعرف إلاّ بالشّرع، وأمّا الدّنيويّة فتعرف بالضّرورات والتّجارب والعادات والظّنون المعتبرات، قال: ومن أراد أن يعرف المتناسبات في المصالح والمفاسد راجحها من مرجوحها فليعرض ذلك على عقله بتقدير أنّ الشّارع لم يرد به، ثمّ يبني عليه الأحكام فلا يكاد حكم منها يخرج عن ذلك، إلاّ التّعبّدات التي لم يوقف على مصالحها أو مفاسدها، هذا قوله، وفيه بحسب ما تقدّم نظر، أمّا أنّ ما يتعلّق بالآخرة لا يعرف إلاّ بالشّرع فكما قال، وأمّا ما قال في الدّنيويّة فليس كما قال من كلّ وجه بل ذلك من بعض الوجوه دون بعض، ولذلك لمّا جاء الشّرع بعد زمان فترة، تبيّن ما كان عليه أهل الفترة من انحراف الأحوال عن

---

(1) الحجّة البلغة 1/ 374.

الإستقامة وخروجهم عن مقتضى العدل في الأحكام، ولو كان الأمر على ما قاله بإطلاق، لم يحتج في الشّرع إلاّ إلى بثّ مصالح الدّار الآخرة خاصّة، وذلك لم يكن، وإنّما جاء بما يقيم أمر الدّنيا وأمر الآخرة معا، وإن كان قصده بإقامة الدّنيا للآخرة، فليس بخارج عن كونه قاصدا لإقامة مصالح الدّنيا، حتّى يتأتى فيها سلوك طريق الآخرة، وقد بثّ في ذلك من التّصرّفات، وحسم من أوجه الفساد التي كانت جارية ما لا مزيد عليه. فالعادة تحيل استقلال العقول في الدّنيا بإدراك مصالحها ومفاسدها على التّفصيل، اللّهمّ إلاّ أن يريد هذا القائل أنّ المعرفة بها تحصل بالتّجارب وغيرها، بعد وضع الشّرع أصولها. فذلك لا نزاع فيه.» انتهى.

وفي مقابل هؤلاء فريق آخر عطّل باب المصالح والمفاسد في الشّريعة جملة وتفصيلا وجعل القول في ذلك من البدع المحدثات في الدّين، والحقّ أنّ إنكاره ذلك هو البدعة المحدثة وهو القول الباطل بلا ريب، وما ذكرناه من الأدلّة في هذا الفصل برهان على بطلان ما ادّعوه وفساد ما قالوه، والحقّ إن شاء الله تعالى وسط بين الفريقين، والله يهدينا وإيّاهم سواء السّبيل.

(يتبع)

من بلاغة الرسول ﷺ

... وممّا هو دقيق في هذا الباب (العلم بالألفاظ الذي هو عمود البلاغة) وقد خفي على العربيّ الصّريح، ما رُوي أنّ أعرابيًا قال لرسول الله ﷺ : علّمني عملا يدخلني الجنّة، فقال: "اعتق النّسمة وفُكّ الرّقبة"، قال الأعرابيّ: أوَ ليس واحدا؟ قال: "لا، عِتق النّسمة أن تنفرد بعتقها، وفكّ الرّقبة أن تُعين في ثمنها". وقد يرجع الفرق بين التّعبيرين إلى أنّ كلمة العتق هي الأصل في هذا الباب، فهي التي تدلّ دلالة مباشرة على هذا المعنى، ثمّ أنّ كلمة النّسمة جامعة تعني الشّخص كلّه، فالعتق الذي هو الأصل في التّحرير واقع على النّسمة كلّها، وفكّ الرّقبة ليس نصّا في هذا المعنى، وإنّما هو أشبه بالعون المالي الذي يساعد في العتق، ولا يستقلّ به، ألا ترى أنّ كلمة الفكّ تُستعمل في كلامهم فيما دون الكسْر في انفساخ القَدَم، وانفراج المنكب استرخاء، فليس في أصل معناه فصل وإبانة، فالمعنى في الحديث أنّه يفكّ الرّقبة فقط، ولا يحلّها، أي لم يُرسلها حرّة، وإنّما يفكّ بمقدار ما يُعين في ثمنها، نعم إنّ كلمة فكّ الرّقبة استعملت مجازا في العتق، ولكنّها هنا جاءت لاحقة له، فكان ذلك قرينة على عدم إرادة خلاف معناها، أي على إرادة الحقيقة.

‹ الإعجاز البلاغي ›

د. محمّد محمّد أبو موسى

محاكمة محكمة
أمن الدولة و قضاتها إلى شرع الله

الشيخ / أبو محمد المقدسي

تعريف:

أبو محمّد المقدسي علَم من أعلام الدّعوة إلى الله تعالى، عرفه الشّباب الظّامئ إلى الحقّ من خلال كتابه القيّم (ملّة إبراهيم)، وهو الكتاب الذي مازال يعمل عمله بفضل الله تعالى، فقد ذكر الإخوة الشّهداء -نحسبهم كذلك ولا نزكّي على الله أحدا- الذين أعدموا بسبب قتلهم الزّنديق الحبشي نزار حلبي في لبنان، ذكروا أنّ الكتاب يمثّل ما هم عليه من الفهم لدين الله تعالى.

الشّيخ، حفظه الله تعالى، هو سجين عند طاغوت الأردن - الحسين بن طلال - حُكم عليه مدّة 15 سنة، وحاولت الجهات الأمنيّة الطّاغوتيّة وبعض المغرضين من أهل البدع تشويه دعوة الشّيخ، فردّ عليهم بأنّ دعوته هي دعوة التّوحيد، وتكلّم في ذلك أكثر من مرّة.

الشّيخ في سجنه تحول إلى علم يهدي إلى الحقّ والخير، ورغم القيد فإنّ رسائله تقطع البلاد طولا وعرضا، وأخيرا بعد أن يئس الطّغاة منه أخذ من سجنه إلى مبنى المخابرات العامّة، وسُووم على دعوته، فقد عرض عليه الطّاغوت (علي برجاق) -مسؤول مخابراتي أردني- أن يعلن تراجعه عن كتبه وينهى الشّباب عنها مقابل إطلاق سراحه، فرفض عرضه وأصرّ على موقفه، قال له الطّاغوت برجاق: هل ما زلت تعتقد كفرنا؟ قال الشّيخ: نعم وهذا كافر. وأشار إلى صورة الطّاغوت الحسين بن طلال. ثمّ أعيد إلى سجنه مع أخيه أبي مصعب (أحمد الخلايلة).

فكّ الله أسر الشّيخ وثبّته على الحقّ ورفع الله درجته..

وكلماته هذه كتبها لتشرح ما هو عليه وما هي دعوته وما هي تهمته عند طواغيت هذا العصر..

لائحة إتمام

المتّهمون

1 – حاكم هذا البلد، وجميع حكّام هذا الزّمان، ومن ناصرهم وعاونهم على تشريعاتهم الوضعيّة.

2 – قاضي محكمة أمن الدّولة ومعاونيه، وكلّ قاض يحكم بالتّشريعات الوضعيّة.

3 – مخابراتهم وجندهم وأنصارهم وأعوانهم الذين ينصرون تشريعهم الوضعي.

4 – أحبارهم ورهبانهم وسدنتهم المضلّين الذين يُقيمون الشّبه الباطلة على تسويغ دين الدّيمقراطيّة الشّركي (تشريع الشّعب للشّعب).

5 – كلّ من أيّدهم، وصفّق لهم، وهتف باسمهم، وشارك في إقرار وتفعيل دينهم الباطل (الدّيمقراطيّة).

التّهم الرّئيسيّة المسندة:

1 – مشاركة الله عزّ وجلّ في صفة من أخصّ صفاته (التّشريع)..

2 – عبادة غير الله تعالى بصرف أو تلقّي التّشريع من غيره..

3 – اتّخاذ الأرباب المتفرّقين المشرّعين مع الله..

4 – تعطيل أحكام الله وشرعه، وتقديم القوانين الوضعيّة والتّشريعات الأرضيّة عليها..

5 – محاربة أولياء الله الموحّدين الذين يدعون النّاس إلى الكفر بالقوانين الوضعيّة واتّباع التّشريعات الإلهيّة.

6 – موالاة أعداء الله من الكفّار الشّرقيّين والغربيّين.

7 – الصدّ عن سبيل الله والاستهزاء بشرع الله... الخ.

الإثبات:

1 – دستوركم الوضعي وقوانينكم وتشريعاتكم.

2 – واقع الأمّة..

الشهود

1 - كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم.
2 - وفي الآخرة: الكرام الكاتبين، و (كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها).
3 - الأمّة: (وكذلك جعلناكم أمّة وسطا لتكونوا شهداء على النّاس).
4 - ألسنة المتّهمين وأيديهم وأرجلهم وجلودهم وسمعهم وبصرهم -إن ماتوا على هذا الشّرك- (يوم يحشر أعداء الله إلى النّار فهم يوزعون * حتّى إذا جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحكم الحاكمين، الذي أنزل الكتاب والميزان ليقوم النّاس بالقسط، وجعل العدل الذي قامت السّماوات والأرض مخصوصا في شريعته، وما سواها جور وظلم وضلال، فقال تعالى: (فماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال) [يونس 32].

والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، القائل في الحديث الصّحيح: «قاضيان في النّار وقاض في الجنّة»(1) .. أمّا الذي في الجنّة فهو الذي عرف الحقّ وقضى به، وليس الحقّ إلاّ في شرع الله تعالى.

أمّا بعد..

فهذه ورقات أحببنا أن نكتبها بيانا للحقّ، وإعذارا إلى الله، وإنذارا لمن تعدّى حدوده، نقدّمها إلى قاضي محكمة أمن الدّولة (حافظ أمين) ومعاونيه، وكلّ قاض غيرهم يحكم في ظلّ هذه القوانين الوضعيّة المناقضة لشرع الله تعالى. وليس مرادنا فيها الدّفاع عن أنفسنا، فإنّ حسبنا الله، هو مولانا نعم المولى ونعم النّصير والوكيل (إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا إنّ الله لا يحبّ كلّ خوّان كفور) [الحج 38]. وليس مرادنا أيضا دفع التّهمة عن شرع الله ودينه، فإنّ "كلمة الله هي العليا" دائما، والحقّ يعلو ولا يعلى عليه، وقد تركنا

---

(1) المستدرك 4/90، كنز العمّال 14982-15004، كشف الخفاء ومزيل الإلباس 2/144.

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على مثل المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلاّ هالك... وإنّما المراد من ذلك كما قال الله تعالى: (معذرة إلى ربّكم ولعلّهم يتّقون) [الأعراف164].

اعلموا أيّها القضاة.. أنّ أوّل وأهمّ وأعظم ما افترض الله على عباده تعلّمه والعمل به، قبل الصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ وغير ذلك من العبادات هو (التّوحيد)، أي عبادة الله وحده.

قال تعالى: (وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون) [الذّاريات 56]، قال المفسّرون: «أي ليعبدونني وحدي، أو ليوحّدونني بالعبادة». وهذا هو معنى كلمة التّوحيد (لا إله إلاّ الله)، وأنّ هذه هي الغاية العظمى، والهدف الأسمى، والعروة الوثقى التي بعث الله من أجلها جميع رسله، وأنزل لها كافّة كتبه، قال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنّه لا إله إلاّ أنا فاعبدون) [الأنبياء 25]، وقد بيّن الله عزّ وجلّ هذه الكلمة وفسّرها بقوله: (ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت) [النّحل 36]، وهو السّبب الحقيقي والرّئيس للخصومة بين الرّسل وأقوامهم، قال تعالى: (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون)[النّمل 45]، فقوله: (اعبدوا الله) أي: وحّدوا الله في العبادة، ولا تعبدوا معه أحدا غيره، وذلك لأنّ أقوامهم كسائر النّاس كانوا يعبدون الله، ولكن يعبدون معه آلهة أخرى، فدعوة الرّسل لم تكن لأجل دعوة النّاس لعبادة الله، والصّلاة له، والصّيام ونحوه فقط، فإنّ أكثر النّاس يعبدون الله بهذه العبادات، بل كانت دعوتهم لأجل عبادة الله وحده، والبراءة من كلّ معبود سواه (اعبدوالله واجتنبوا الطّاغوت) [النّحل 36].

ومن أجل ذلك كان النّزاع، وعليه عذّب الرّسل وأتباعهم وأوذوا وسجنوا... قال تعالى مخبرا عن فرعون: (قال لئن اتّخذت إلها غيري لأجعلنّك من المسجونين)[الشّعراء 29]، وبسببه يفترق النّاس فريقين، فريق في الجنّة وفريق في السّعير، إذ هو العروة الوثقى التي ضمن الله تعالى لها ألاّ تنفصم، وجعل عليها مدار النّجاة فقال: (قد تبيّن الرّشد من الغيّ، فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) [البقرة 256].

فقوله (فمن يكفر بالطّاغوت ويؤمن بالله) هو التّوحيد الذي تضمّنته (لا إله إلاّ الله) (1)، ولأجل ذلك كان لزاما على كلّ من أراد الفوز بالجنّة والنّجاة من النّار أن يتعلّم معنى هذه الكلمة العظيمة والعروة الوثقى ليعمل بها... قال تعالى: (فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله) [محمّد 19].

(1) الطّاغوت هو كلّ ما عبد من دون الله بأيّ نوع من أنواع العبادة وهو راض بعبادته، =

فإذا تعلّمها علم لأيّ غاية وهدف خلق، ولأيّ شيء بعث الرّسل وأنزلت الكتب، وعرف الطّريق الموصلة للجنّة والأخرى المردية في النّار..

ومنه يتبيّن لكم -أيّها القضاة- حقيقة الخصومة بيننا وبين حكوماتكم المعطّلة لشرع الله، ولماذا نحن نبغضها ونكفّر ونعادي أولياءها، ولماذا هم يحاربوننا، ويسجنوننا نحن وكلّ داعية من دعاة التّوحيد..

و (لا إله إلاّ الله) نفي وإثبات، ولا بدّ للإعتصام بهذه العروة الوثقى التي علّق الله عليها مدار النّجاة، أن يجمع المرء فيها بين ركني النّفي والإثبات... ولا يكفي النّفي وحده دون الإثبات، ولا الإثبات وحده دون النّفي، بل لا بدّ من الجمع بين كلا الأمرين..

فـ (لا إله) هو ركن النّفي في هذه الكلمة العظيمة، وقد فسّره الله تعالى في تعريف العروة الوثقى بقوله: (فمن يكفر بالطّاغوت) وفي دعوة الرّسل بقوله: (اجتنبوا الطّاغوت)، وإنّما قدّمه على الإثبات لأهميّته وخطورته، فلا يصحّ الإثبات (عبادة الله) بدون هذا النّفي (البراءة من كلّ ما يعبد من دون الله)، أي لا يصحّ ولا يقبل ولا ينفع الإيمان بالله والصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ له دون الكفر بالطّاغوت.. أو بمعنى آخر: لا تنفع عبادة الله مع عبادة غيره، بل لا بدّ من عبادة الله وحده، والبراءة من عبادة من سواه.

و (إلاّ الله) هو ركن الإثبات وهو يتضمّن عبادة الله وحده، وقد بيّنه الله تعالى في تعريف العروة الوثقى بقوله: (ويؤمن بالله) وفي دعوة الرّسل كافّة بقوله: (اعبدوا الله).

فلعلكم أيّها القضاة أن تقولوا: ومن ينكر هذا؟ ومن يعارضه؟.. فسنجيبكم بأن نقول: أنتم وحكومتكم...

إنّنا ندعو النّاس إلى هذا التّوحيد العظيم، وأنتم تدعونهم إلى نقيضه من الشّرك البواح المستبين...

فلعلكم تقولون: كيف؟ وهل نصلّي لغير الله، أو ندعو غير الله، أو نصوم لغير الله، أو نذبح لغير الله، أو نأمر النّاس بمثل ذلك؟؟ فسنجيبكم: كلاّ، بل من يعبد الله منكم، فهو يصلّي لله، ويصوم لله، ويدعو لله، ويذبح لله، وينذر لله، لكنّه في أبواب الحكم والتّشريع فإنّه يأخذ التّشريع من غير الله، فهو يشرك مع الله أربابا آلهة أخرى، لا في الصّلاة والصيّام ونحوهما.. ولكن في التّشريع، ومعلوم من دين المسلمين أنّ تلقّي التّشريع وقبوله

= وتتنوّع صور الطّواغيت في كلّ زمان ومكان، فتارة يكون الطّاغوت صنما أو وثنا يصلّي له النّاس ويسجدون أو يذبحون له وينذرون، وتارة يكون شرعا غير شرع الله يتحاكم النّاس إليه، أو مشرّعا من دون الله حاكما كان أو نائبا أو كاهنا يشرّع للنّاس من الدّين والأمر والنّهي ما لم يأذن به الله، وهكذا تتنوّع صور الطّواغيت في كلّ زمان ومكان ويبقى مطلوب الرّسل جميعا واحدا: (اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت).

من غير الله هو عبادة كالسّجود والركوع والصّلاة لغير الله، والأدلّة على ذلك من كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم كثيرة، أسوق إليكم -أيّها القضاة - هنا بعضها:-

1- جاء في الحديث الصّحيح بمجموع طرقه والذي أخرجه الإمام أحمد والتّرمذي وأهل التّفاسير عن عديّ بن حاتم الطّائي -وكان نصرانيًا فأسلم- أنّه دخل على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فسمعه يقرأ قوله تعالى: (اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله..) الآية [التوبة 31]، فقال عديّ: يا رسول الله ما عبدوهم!! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ألم يكونوا يحلّون الحرام ويحرّمون عليهم الحلال -أي يمارسون السّلطة التّشريعيّة- فيتّبعونهم؟» قال: نعم، قال: «فتلك عبادتهم إيّاهم».

ففي هذا الحديث أنّ طاعة هؤلاء أحبارهم ورهبانهم في التّشريع كانت عبادة لغير الله وشركا أكبر مخرجا من الدّين..

ولذلك بوّب الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- في كتابه ‹التّوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد› لهذه الآية بقوله: «أنّ من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلّ الله وتحليل ما حرّم الله فقد اتّخذهم أربابا من دون الله».

2- ومن الأدلّة الصّريحة على ذلك أيضا ما رواه الحاكم وغيره بإسناد صحيح عن ابن عبّاس في سبب نزول قوله تعالى: (ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه) [الأنعام 121] أنّ ناسا من المشركين كانوا يجادلون المسلمين لأنّهم لا يأكلون الميتة، فقالوا: الشّاة تصبح ميتة من قتلها؟؟ قال المسلمون: الله، قال المشركون: ما قتل الله، أو ما ذبح بسكّين من ذهب حرام -يعنون الميتة- وما ذبحتم أنتم بسكّين من حديد حلال؟ فأنزل الله تعالى: (ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنّه لفسق وإنّ الشّياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنّكم لمشروكون) [الأنعام 121].

فهذا حكم صريح واضح من جبّار السّماوات والأرض بأنّ متّبع التّشريعات الوضعيّة ولو في قضيّة أو مسألة واحدة أنّه مشرك بالله تعالى، قد اتّخذ غير الله ربّا، وإنْ لم يسجد له ويصلّي ويركع، وأنّ الطّاعة في التّشريع عبادة يجب توحيدها لله عزّ وجلّ، ومن صرفها لغير الله تعالى فقد عبد غير الله..

وإذا عرفتم هذا وظهر لكم أنّ من الكفر البواح والشّرك الواضح المستبين اتّخاذ غير الله مشرّعا، سواء كان هذا المشرّع عالما أو حاكما أو نائبا أو شيخ عشيرة، وعلمتم أنّ الله تعالى قد حكم على الشّرك في كتابه فقال: (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالا بعيدا) [النساء 48]، ثمّ علمتم أنّ المادّة (26) من دستوركم الشّركيّ الوضعيه تنصّ على:-

أ - السّلطة التّشريعيّة تُناط بالملك وأعضاء مجلس الأمّة.

ب - تمارس السّلطات (التّشريعيّة وغيرها) صلاحيّاتها ومهامّها وفقا لمواد الدّستور.

عرفتم أنّ كلّ من قبل بمثل هذا الدّين المحدث، والكفر البواح والمناقض لدين الله تعالى وتوحيده، أنّه قد اتّخذ هؤلاء المشرّعين أربابا من دون الله تعالى، أشركهم مع الله في عبادته، قال تعالى: **(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدّين ما لم يأذن به الله)** [الشورى21]. وقال عزّ وجلّ منكرا على المشركين: **(ءأربابٌ متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار)** [يوسف 39]. ويقول تعالى: **(أفحكم الجاهليّة يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)** [المائدة 50]، يقول الحافظ أبوالفداء بن كثير -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كلّ خير، النّاهي عن كلّ شرّ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والإصطلاحات التي وضعها الرّجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهليّة يحكمون به من الضّلالات والجهالات ممّا يضعون بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التّتار من السّياسات الملكيّة المأخوذة عن ملكهم جينكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتّى من اليهوديّة والنّصرانيّة والملّة الإسلاميّة وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرّد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متّبعا يقدّمونه على كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتّى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يُحكّم سواه في قليل ولا كثير» اهـ(1).

وممّا تقدّم تعرف حقيقة الخصومة والعداوة بيننا وبين هذه الحكومات، وأصل النّزاع بين أهل التّوحيد وبين أنصارها وأوليائها، فهو ليس على كراسي أو مناصب أو أرض أو مال أو جاه كما يتوهّم كثير من النّاس، فأنت ترى أنّ أتباع هذا التّوحيد الخالص هم من أبعد النّاس عن مناصب هذه الحكومات، بل أوّل ما يدعونك إليه -إن كانوا مخلصين وإن كنت من أهل هذه المناصب الموالية المناصرة لهذا الشّرك والتّشريع وأهله، قاضيا كنت أو حاكما أو مخابرات أو جنديًا- هو الفرار إلى الله بترك تلكم المناصب واجتنابها للنّجاة من هذا الشّرك وأهله.. فقول الله تعالى: **(اعبدوا الله واجتنبوا الطّاغوت)** [النحل 36] هو منهاج حياتهم..

وليست الخصومة كذلك على إنكار فروع، أو إصلاح جزئيّات من واقع مهترئ؛ كتغيير خمّارة أو سينما أو مرقص أو ملهى أو نحوه، ومن ظنّ أنّ هذا هو لبّ الخصومة وأصله وحقيقته بيننا وبينهم، فإنّه لم يفهم حقيقة دعوة الرّسل ولا عرف سبب الخصومة الحقيقيّة

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، 63/2.

بينهم وبين أقوامهم، والمنشغل بذلك كالمنشغل بعلاج جروح سطحيّة في جسد يعجّ فيه سرطان خبيث قاتل..

الخصومة يا قوم أخطر من ذلك بكثير وأعظم، إنّها في توحيد وشرك، في كفر وإيمان، إنّها خلود في الجنّة أو خلود في السّعير..

إنّ حكومتكم هذه -أيّها القضاة- وأمثالها من الحكومات الأخرى ومن تابعها وناصرها على شركها قد جعلوا من أنفسهم أندادا لله تعالى، أبوا إلاّ أن يشاركوه في صفة هي من أخصّ خصائص ألوهيّته ألا وهي التّشريع، فجعلوا السّلطة التّشريعيّة -كما نصّت دساتيرهم- حقّا لهم ولمن تابعهم على دينهم المحدث (الدّيمقراطيّة) الذي حقيقة معناه (تشريع الشّعب للشّعب لا تشريع الله للشّعب) فالشّعب ومجلسه ونوّابه وحاكمه هم أصحاب السّلطة التّشريعيّة في هذا الدّين الذي اختارته حكومتكم وليس أحكم الحاكمين، تعالى الله عمّا يصفون علوّا كبيرا.. (ءأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار؟) [يوسف39] ، (آلله خير أم ما يشركون؟) [النمل 59].

إنكم -أيّها القضاة- وحكومتكم تزعمون أنّ دين الدّولة الإسلام، وفي الوقت نفسه تختارون دين الدّيمقراطيّة الكفري المحدث نظاما للحكم (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السّماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون) [آل عمران 83].

إنكم وحكومتكم تزعمون أنّ الله ربكم، له تصلّون وتصومون؛ أتختارون وتنتخبون عبيدا من خلقه تُشركونهم في أخصّ خصائص ألوهيّته، السّلطة التّشريعيّة؟!!

(أفّ لكم ولم تعبدون من دون الله أفلا تعقلون؟) [الأنبياء 67].

إنكم وحكومتكم تزعمون أنّ القرآن كتابكم؛ ثمّ تتّخذونه وراءكم ظهريّا، وتعرضون عن أحكامه المطهّرة، وتقدّمون عليها وعلى حدود الله السّماويّة تشريعات دستوركم الوضعي وقوانينكم الأرضيّة..

الحكم النّافذ عندكم المعمول به في هذه المحاكم وغيرها ليس حكم جبّار السّماوات والأرضين في كتابه العظيم، بل هو حكم أربابكم وآلهتكم المتفرّقين، الذين شرّعوا لكم في دستوركم وقوانينكم من الدّين ما لم يأذن به الله..

هذه هي لائحة اتّهامكم الرّئيسيّة ستجدونها -إن لم تتوبوا من شرككم- مفصلّة في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وما سواها فهو فروع مندرجة تحت هذه الجريمة النّكراء، وكلّ واحد منكم يا أنصار هذه التّشريعات الوضعيّة سيخرج له أحكم الحاكمين يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا (إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) [الإسراء 14].

وحكم هذه الجريمة الشّركيّة ليس الإعدام للمجرم فيستريح، بل هو الخلود الأبدي "مؤبّد" في جهنّم إلى أبد الآبدين (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون، لقد جئناكم بالحقّ ولكنّ أكثركم للحقّ كارهون) [الزخرف 78]، (والذين كفروا لهم نار جهنّم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزي كلّ كفور، وهم يصطرخون فيها ربّنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنّا نعمل، أو لم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النّذير فذوقوا فما للظّالمين من نصير) [فاطر 37].

ولا أظنّكم أيها القضاة -وأنتم أعرف النّاس بالقوانين الوضعيّة والتّشريعات الأرضيّة- يخفى عليكم أمر هذه الجريمة الخطيرة التي حكم الله في أعظم كتبه المنزلة أنّها أعظم جريمة عُصيَ الله بها في الوجود فقال تعالى: (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء 116].. وقال: (إنّه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النّار وما للظّالمين من أنصار) [المائدة 72].. وقال: (لئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين) [الزمر 65].

وسنضرب لكم مثالا لن نأخذه من بعيد، فالأمثلة من قوانين الجزاء، وغيرها -من تشريعاتكم الوضعيّة الأرضيّة المناقضة لشرع جبّار السّماوات والأرض- كثيرة، وقد فصّلنا القول فيها وبيّنا كيف تعمل على هدم أصول الشّريعة السّماويّة، والضّرورات التي أنزلت من أجلها، في كتابنا الموسوم ‹كشف النّقاب عن شريعة الغاب›، لكن سأضرب لكم مثالا واحدا فقط من قوانين محكمتكم التي ستحاكموننا بها، وذلك زيادة في إقامة الحجّة عليكم، إذ هي واضحة مُقامة في كتاب الله، وهي المادّة 2/12 من قانون المفرقعات رقم (13) لسنة 1953 وتعديلاته، والتي تنصّ على أنّ (كلّ من وجد في حوزته أو نقل أو باع أو اشترى مادّة مفرقعة بدون ترخيص بقصد استعمالها على وجه غير مشروع يعاقب بالإعدام).

فتأمّلوا أيّها القضاة قول مشرّعكم (بدون ترخيص) فمن ذا الذي يبيح ويرخّص ويحلّ ويحرّم عندكم؟ إنّه ليس الله بل أربابكم المشرّعون المتفرّقون، ففي شريعتنا السّماويّة العظيمة المشرّع الواحد الأحد - الذي يحرّم ويحلّل، ويبيح ويرخّص، ويحكم ولا معقّب لحكمه- هو الله الواحد القهّار، وقد رخّص سبحانه لنا بل أمرنا بإعداد العدّة لأعداء دينه فقال: (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة) [الأنفال 60].. ولفظ (قوّة) في هذه الآية العظيمة جاء نكرة ليشمل جميع أنواع العدّة، سواء كانت قنابل أو مفرقعات أو غيرها، أمّا تشريعاتكم ودينكم فقد شرّع لكم أربابكم في المادّة (2) من قانون المفرقعات بأنّ (سلطة التّرخيص) عندكم ممثّلة بوزير الدّفاع أو أي شخص ينتدبه لهذا الغرض، ونصّت الفقرة

(2) من المادّة (3)من القانون نفسه على أنّه (لا يجوز لسلطة التّرخيص أن تمنح في أيّة حالة رخصة لصنع المفرقعات قبل أخذ موافقة مجلس الوزراء..الخ).

إنّ الله جلّ ذكره يأمر من فوق سماواته وينزل في تشريعاته المطهّرة في أعظم كتبه فيقول: (وأعدّوا)، وأربابكم المتفرّقون يشرّعون لكم في كتابكم -الذي تقدّمون أحكامه على كتاب الله - فيقولون (لا يجوز) ولا مرخّص أو مبيح في ذلك إلاّ الجهات التي شرّعها لكم مشرّعكم... (ءإله مع الله؟ تعالى الله عمّا يشركون) [النمل 63].

ثمّ تأمّلوا قول مشرّعكم في تلك المادّة (بقصد استعمالها على وجه غير مشروع) من ذا الذي يحدّد المشروع في دينكم؟؟ أو بمعنى أدقّ: من هو الإله المشرّع عندكم؟؟ وطبقا لأيّ شيء يكون تشريعه؟؟.

أمّا عندنا -نحن الموحّدون- فالمشرّع الذي يحدّد المشروع من غير المشروع هو الله الواحد الأحد، الفرد الصّمد، لا نشرك معه في ذلك سواه، لا يجوز في ديننا أن يشاركه فيه أحد كائن من كان حتّى رسول صلّى الله عليه وسلّم، أشرف الخلق، فما هو مشرّع إن هو إلاّ نذير..

وقد شرّع الله لنا في ديننا استعمال كلّ قوّة نمتلكها ونستطيعها ضدّ أعداء الله، سواء كانوا يهودا أو غيرهم، ورتّب على ذلك الأجر العظيم، والثّواب الجزيل، جنّة عرضها السّماوات والأرض أعدّت للمجاهدين المتّقين، والنّصوص في شريعتنا في هذا الباب من الكتاب والسّنّة أكثر من أن يحصرها هذا المكان.

أمّا عندكم أنتم أيّها المشركون -يا من أشركتم مع الله في العبادة مشرّعين آخرين وأربابا متفرّقين- فمعلوم من المادّة 26 من دستوركم الوضعي أنّ الأرباب المشرّعين عندكم هم (الملك وأعضاء مجلس الأمّة، وتشريعهم لا ينفّذ إلاّ إذا كان وفق مواد الدّستور) ولذلك فإنّ استخدام هذه المفرقعات ضدّ اليهود يُعدّ في دينكم وشرعكم (استعمالا غير مشروع) خصوصا بعد إقرار معاهدة (السّلام) بين حكومتكم وحكومة إسرائيل، وتصديق قانونها من قبل مجلسكم التّشريعي برقم 14 لسنة 1994 ولذلك فإنّكم تعاقبون على استعمال -المشروع في دين الله المحرّم في دينكم- بعقوبة قد تصل إلى الإعدام. فالله ربّنا عزّ وجلّ شرّع لنا استعمال كلّ نوع من أنواع القوّة ضدّ اليهود وغيرهم من أعداء الله، ورتّب على ذلك الأجر والثّواب، وأربابكم المتفرّقون شرعوا لكم تحريم استعمالها ضدّهم، ورتّبوا على ذلك عقوبة الإعدام إن كانت هذه القوّة تحتوي على المفرقعات.. (أءله مع الله؟ بل أكثرهم لا يعلمون) [سورة النمل 61]. الله جلّ ذكره شرع لنا على لسان نبيّه صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الصّحيح الذي يرويه البخاري أنّه : «لا

يحلّ دم امرئ مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: الثّيب الزّاني والنّفس بالنّفس والتّارك لدينه المفارق للجماعة»، وأنتم شرع لكم أربابكم في دينكم بناءً على المادّة السّابقة أنّ دم المسلم الموحّد يحلّ في غير هذه الثّلاث، فيُعدم إن حاز قنابل أو مفرقعات لغاية مشروعة عند الله، غير مشروعة عند أربابكم.

والله ربّنا شرع لنا في ديننا كما في الحديث السّابق قتل الثّيّب الزّاني والتّارك لدينه المفارق للجماعة... وأنتم شرع لكم أربابكم في دينكم عدم قتله، بل حفظ دمه، والحكم له بالبراءة إن كان الزّنا برضا المرأة وتنازل الزّوج عن حقّه ورضي باستمرار الحياة الزّوجيّة(1)، (أله مع الله؟ قليلا ما تذكّرون) [النمل 62].

والله ربّنا شرع لنا -كما في الحديث السّابق- قتل المرتدّ المبدّل لدينه أو المستهزئ بشيء من الشّريعة أو السّاب للرّبّ أو الدّين أو الرّسول صلّى الله عليه وسلّم... وأنتم شرع لكم أربابكم حفظ دمائهم لأنّ دستوركم وشرعكم يكفل حرّيّة الإعتقاد هكذا مطلقا فليس في شرعكم ودينكم ما يعاقب على الرّدّة أو ما يعدّها جريمة تستحقّ الإعدام.. وكذلك السّابّ للرّبّ أو الدّين إن حوكم فبماذا سيُحكم؟!! وأيّ المحاكم تختصّ بجريمته؟ مع أنّه في دين الله مرتدّ ليس له إلاّ حكم الإعدام!..

وبيان حكم الله في دساتيركم وإظهار حقيقة مشرّعيكم وسفاهة وتهافت وتناقض قوانيكم، هذا البيان الذي يُؤجر الله عليه، ويعدّه من أحسن القول: (ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنّني من المسلمين)[فصلت 33]، هذا تسمّونه في دينكم وتشريعكم (سبّ وإطالة لسان) كما قال أسلافكم المشركون عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمّا بيّن زيف آلهتهم وأربابهم المشرّعين: (سفّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا)، (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين) [الأنبياء 70]، ولذلك فأنتم تقتدون بهم فتعاقبون من نصحكم بترك العمل بهذه القوانين الوضعيّة الباطلة وحذّر منها، ودعا النّاس إلى البراءة من الأرباب المشرّعين المتفرّقين، واتّباع شرع الواحد القهّار، تعاقبونه بتهمة (إطالة اللّسان) التي قد تصل عقوبتها في شرعكم إلى (ثلاث سنوات) ومحكمتها عسكريّة..

بينما الذين يسبّون الرّبّ والدّين، الذين ملؤوا الشّوارع والدّيار فلا رقيب عليهم ولا عتيب، وإن حصل وروقبوا أو عوقبوا فعقوبة ذلك عقوبة ساقطة مهترئة قد تتدنّى أحيانا إلى الشّهر، ومحكمتها محكمة مدنيّة (أله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)

---

(1) وهذا أمر معلوم في قوانين (الدّيانة) الجزاء التي بيّنا سقوطها ووضّحنا مصادمتها لأصول الشّريعة، وهدمها الضّروريّات التي أنزل الله الشّرائع من أجلها في كتابنا المشار إليه في ما تقدّم ‹كشف النّقاب عن شريعة الغاب› وانظر المادّة 284 من قانون العقوبات الأردني..

[سورة البقرة 111].

وهكذا فالأمثلة أيها القضاة في هذا الباب الشّركي -الواضح المستبين- كثيرة ومتنوّعة من دينكم الذي نبرأ إلى الله منه، وليس المقصود حصرها في هذا المكان الضيّق، لكن فيما ذكر كفاية لمن أراد الهداية..

فإذا عرفتم ما تقدّم، عرفتم عظم الجريمة التي ننكرها عليكم وعلى حكومتكم، وأنكم ستُحاكمون عليها بين يدي أحكم الحاكمين، ومن هلك وسقط فيها (فيومئذ لا يعذّب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) [الفجر 26]، إذ هي الجريمة التي أنكرتها الرّسل قاطبة على أقوامهم، وأعظم ذنب عُصي الله به في الوجود.

ومنه يتّضح لكم لماذا نسميكم بالمشركين، ولماذا لا نقف احتراما لمحاكمكم الشّركيّة (1)، ولماذا نقول لكم كما قال إبراهيم والذّين معه لقومهم: (إنّا برءاء منكم وممّا تعبدون من دون الله) [الممتحنة 4]، برءاء من أربابكم المشرّعين المختلفين المتفرّقين، برءاء من قوانينكم الوضعيّة ودساتيركم الأرضيّة ومحاكمكم الشّركيّة، ومحاميكم الذين يتحاكمون إلى القوانين والدّساتير (كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتّى تؤمنوا بالله وحده) [الممتحنة 4].

إنّنا -أيّها القضاة- نقف اليوم بين أيديكم معتقلين تحاكموننا باسم طاغوتكم وبشرعكم وقانونكم الوضعي، وتخوّفوننا بقوانينكم والسّجن والإعدام مع أنّ الموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

ونحن نذكّركم بأنّكم ستقفون بين يدي جبّار السّماوات والأرض وليس بينكم وبينه ترجمان، موقفا أعظم من هذا وأخطر وأخوف (فكيف تتّقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) [المزّمّل 17].

(ولو ترى إذ الظّالمون موقوفون عند ربّهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر اللّيل والنّهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسرّوا النّدامة لمّا رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون

---

(1) كان الإخوة – فكّ الله أسرهم – يرفضون الوقوف في المحكمة العسكريّة عند دخول القضاة، وإذا حضر وقت الصّلاة أذّن أحدهم وصلّوا جماعة ولا يلتفتون لتحقيق القاضي.

إلاّ ما كانوا يعملون) [سبأ 31-33].

أجل، ستقفون بين يدي جبّار السّماوات والأرض، ويومها سيتبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضا (وقال إنّما اتّخذتم من دون الله أوثانا مودّة بينكم في الحياة الدّنيا ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النّار وما لكم من ناصرين)[العنكبوت 25]. نعم هناك ستكفرون بهم وتتبرؤون منهم، لأنكم ستعلمون أنّ هذه البراءة هي أعظم عبادة وطاعة لله لم تحقّقوها في الدّنيا، فستتمنّون لو أنّ لكم كرّة فترجعوا إلى الدّنياالتّعلنوا براءتكم من هذه المحاكم والقوانين وأربابها المشرّعين (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوّة لله جميعا وأنّ الله شديد العذاب * إذ تبرّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطّعت بهم الأسباب * وقال الذين اتُّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّؤوا منّا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النّار) [البقرة 165-167]، نعم ستتمنّون لو ترجعون إلى الدّنيا، لا لتصلّوا أو لتصوموا بل لتتبرّؤوا من هؤلاء المشرّعين وقوانينهم الوضعيّة ومحاكمهم، لأنكم ستعاينون يومها أنّ الصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ وسائر العبادات لا تُقبل إلاّ بهذه البراءة التي هي ركن كلمة التّوحيد الأوّل (الكفر بالطّاغوت)، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول عن أعمال وصلاة وصيام المشركين في ذلك اليوم: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا) [الفرقان 23].

ها نحن ندعوكم اليوم إلى أن تتبرّؤوا منها اليوم قبل أن تندموا حين لا ينفع النّدم، فيومها لن ينفعكم -يا معشر القضاة- استئناف أو محامي أو وكيل أو كفيل إن كانت جريمتكم هذا الشّرك العظيم، وهذا الجرم لا يشمله عفو ولا تمييز (إنّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك) [النساء 48].

إنّنا والله عليكم -أيّها القضاة- لمشفقون، فأجسادكم لا تقوى على (نار وقودها النّاس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) [التّحريم 6]. (وجعلنا جهنّم للكافرين حصيرا) [الإسراء 8]، إنّنا قمنا ندعو النّاس إلى هذا التّوحيد، ونحذّرهم من هذا الشّرك الذي تدعونهم أنتم وأربابكم إليه، حرصا منّا على إنقاذكم وإيّاهم من هذه النّار، وحرصا منّا على إخراجكم من ظلمات الشّرك إلى نور التّوحيد، من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد.

أنتم تحاكموننا باسم مليككم وتحاكموننا إلى قوانينكم الشّركيّة، ونحن لا نحاكمكم إلاّ باسم الله وإلى شرع الله.

أنتم عذّبتمونا في الزّنازين شهورا طويلة لأجل هذه الدّعوة العظيمة، وأذيتمونا لأجل مثل هذه الكتابات، وهدّدتم إخواننا بالفواحش وخوّفتموهم بمحاكمكم وقوانينكم وسجونكم... ونحن لا نخوّفكم إلاّ بالله وبعذاب جهنّم، فجهنّم والله ليست كهذه السّجون، إنّها سجّين (إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين) [المطففين 7]. يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الدّنيا فيُغمس في جهنّم غمسة واحدة، فيُقال له: هل رأيت نعيما قطّ؟ فيقسم قائلا: لا والله يا ربّ!!. (فيومئذ لا يعذّب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) [الفجر 26]، إنّ العذاب هناك ليس كعذابكم أو كعذاب مخابراتكم مهما قيل فيه..

نعم لقد سقطت أظافر إخواننا من الضّرب والتّعذيب، وتبدّلت جلودهم من الجلْد مرّات ومرّات، وتورّمت أجسادهم ونُتفت لحاهم، ومُنعوا من النّوم أيّاما طويلة، وكلّ ذلك في سبيل الله يهون، ولن يضيع إن شاء الله، فنسأله الإخلاص والقبول..

إذا رضي الإله فلا نُبالي أقام الحيّ أم غضب الأمير

ولكن أنتم أيّها المساكين!! هل تقوون على عذاب الآخرة السّرمديّ الأبديّ (إنّ الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إنّ الله كان عزيزا حكيما) [النّساء 56].

يا أيّها القضاة... يا حافظ أمين: احفظ نفسك من النّار وأمّن نفسك من عذاب الله، فهناك لا أمن ولا أمان إلاّ للموحّدين (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) [الأنعام 82] (بظلم: أي بشرك) وحاكم نفسك قبل أن تُحاكم تحت ظلّ عدالة قدسيّة الأحكام والميزان، لا تغفل ولا تنقص مثقال ذرّة من عمل (فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره) [الزلزلة 7-8].

وأخيرا فعسى أن يفتح الله بهذه الكلمات قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صمّا... أمّا أحكامكم فوالذي فطر السّماوات والأرض إنّنا لا نبالي أو نعبأ بها، إذ يقيننا أنّكم لا تملكون لأنفسكم شيئا، فضلا عن أن تملكوا لنا نفعا أو ضراً، فالأمر كلّه لله وحده من قبل ومن بعد، وليس هو لكم ولا لأربابكم المتفرّقين (والله يقضي بالحقّ والذين من دونه لا يقضون بشيء) [غافر 20]، والأمر ليس إلى لوائحكم أو قراراتكم بعد إذ جفّ ما في اللّوح المحفوظ، قال تعالى: (إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد) [غافر 51]، (فاقض ما أنت قاض إنّما تقضي هذه الحياة الدّنيا * إنّا آمنّا بالله ليغفر لنا خطايانا) [طه 72-73].

هذا بلاغي لكم والبعث موعدنا   وعند ذي العرش يدري النّاس ما الخبر

وكتب/ أبو محمّد المقدسي /سجن سواقة

... هنالك غاية معيّنة محدّدة لوجود الجنّ والإنس تتمثّل في وظيفة،من قام بها وأدّاها فقد حقّق غاية وجوده؛ ومن قصّر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده؛ وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمدّ منه قيمتها الأولى. وقد انفلت من النّاموس الذي خرج به من الوجود، (..) هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجنّ والإنس بناموس الوجود.. هي العبادة لله. أو هي العبوديّة لله.. أن يكون هناك عبد وربّ. عبد يَعبد، وربّ يُعبد. وأن تستقيم حياة العبد كلّها على أساس هذا الإعتبار.

ومن ثمّ يبرز الجانب الآخر لتلك الحقيقة الضّخمة، ويتبيّن أنّ مدلول العبادة لا بدّ أن يكون أوسع وأشمل من مجرّد إقامة الشّعائر(..) ولكنّنا نعرف حدود النّشاط المطلوب من الإنسان. نعرفها من القرآن من قول الله تعالى (وإذ قال ربّك للملائكة: إنّي جاعل في الأرض خليفة).. فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني.. وهي تقتضي ألوانا من النّشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتّعرّف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها، وتحقّق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع النّاموس الكوني العام..

ومن ثمّ يتجلّى أنّ معنى العبادة التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى. أوسع وأشمل من مجرّد الشّعائر؛ وأنّ وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعا. وأنّ حقيقة العبادة تتمثّل إذن في أمرين:

الأول: هو استقرار معنى العبوديّة لله في النّفس. أي استقرار الشّعور على أنّ هناك عبدا وربّا. عبدا يَعبد وربّا يُعبد. وأن ليس وراء ذلك شيء، وأن ليس هناك إلا هذا الوضع وهذا الإعتبار. ليس في هذا الوجود إلاّ عابد ومعبود، وإلا ربّ واحد والكلّ عبيد له.

والثّاني: هو التّوجّه إلى الله بكلّ حركة في الضّمير، وكلّ حركة في الجوارح، وكلّ حركة في الحياة، التّوجّه بها إلى الله خالصة، والتّجرّد من كلّ شعور آخر، ومن كلّ معنى غير معنى التّعبّد لله ..

بهذا وذلك يتحقّق معنى العبادة، ويصبح العمل كالشّعائر، والشّعائر كعمارة الأرض، وعمارة الأرض كالجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله كالصّبر على الشّدائد والرّضى بقدر الله.. كلّها عبادة، وكلّها تحقيق للوظيفة الأولى التي خلق الله الجنّ والإنس لها، وكلّها خضوع للنّاموس العام الذي يتمثّل في عبوديّة كلّ شيء لله دون سواه.

في ظلال القرآن
سيّد قطب -رحمه الله-

الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي ②

- البدايات -

بقلم الأستاذ : محمّد طه الطّرابلسيّ

منذ الإنطلاقة الصّليبيّة الثانية في بداية القرن السّادس عشر لاستعباد وإبادة العالم الإسلامي، بحث العدوّ الصّليبي بعد احتلاله لبعض البلدان الإسلاميّة عن حليف محلّي، وإيجاد واكتشاف نقاط التناقض والضّعف داخل مجتماعاتنا لإجتذاب عملاء منافقين وشقّ الصّفوف، فاستثمروا الخلافات الجاهليّة: من إقليميّة وقبليّة وعرقية في بلاد مثل المغرب والجزائر وجنوب روسيا والجزيرة العربيّة. كما استخدموا الأقليّات الدّينيّة غير الإسلاميّة في بلاد الشّام وتركيا وجزيرة القرم وباكستان. وهكذا تمكّنوا من تجنيد الجيوش من أبناء المسلمين الجهلة بأمور الدّين ليقضوا بواسطتهم على حركات جهاديّة قد هدّدت وجودهم من أساسه، ونعطي أمثلة على ذلك:

- ثورة المغاربة ضدّ البرتغاليّين والأسبان، بعد إعلانهما الحرب الصّليبيّة -بمباركة البابا والفاتيكان- ضده الإسلام، على إثرسقوط الأندلس، وإنزالاتهما العسكريّة في شواطئ المغرب والجزائر وتونس، واستخدام هاتين الدّولتين الصّليبيّتين لدول محليّة مثل السّعديّين والعلويّين في المغرب وبني عبد الواد في الجزائر، والدّولة الحفصيّة في تونس في القرنين السّادس عشر والسّابع عشر الميلادي. وكانت دولة الخلافة العثمانيّة الإسلاميّة قد امتدّت إلى شواطئ البلاد الإسلاميّة المطلّة على شمال إفريقية لتوحيدها

وحمايتها من الصّليبيّين الأسبان والبرتغال، ما عدا المغرب الذي تحالفت دوله المتعاقبة مع النّصارى الإسبان والبرتغاليّين ضدّ دولة الخلافة، وخاضت الدّولة السّعديّة والعلويّة الحروب بدعم دول الصّليب ضدّ دولة الإسلام، وذلك بالرّغم من وجود العديد من الثّغور المغربيّة في أيدي حلفائها النّصارى. وكان هدف دولة الخلافة من ضمّ المغرب استغلال الموقع الجغرافي القريب لاستعادة الأندلس ومهاجمة أوروبا الغربيّة، والتّحكّم في طرق المواصلات البحريّة التي تربطها مع مستعمراتها في القارّة الأمريكيّة والشّرق الأقصى.. وذلك بمساعدة مسلميها المطرودين والمقيمين في شواطئ الجزائر وتونس والمغرب والذين كانوا يخوضون جهادا بحريًا مظفرًا ضدّ خطوط التّجارة البحريّة الإسبانيّة والبرتغاليّة بشكل خاص والنّصرانيّة بشكل عام، ويشنّون الغارات على شواطئ إسبانيا. وقد وشى المأمون السّعدي بخطّة دولة الخلافة الإسلاميّة إلى الإسبان ممّا دفعهم إلى تصفية بقايا مسلمي جبال البشارات المنيعة جنوب غرناطة المتّصلة بالبحر، ودعم المأمون في حربه ضدّ دولة الخلافة.

نصّ رسالة الحسن الحفصي زعيم الدّولة الحفصيّة في تونس إلى ملك إسبانيا كارلوس الخامس:

إنّ رئيس التّرك خير الدّين بربروس ظلمني وأخذ مملكة آبائي وأجدادي من يدي، وكان الحامل له مع علمه بما بيني وبينك من الصّداقة والمودّة، فالواجب عليك أيّها الملك أن تعينني بهذا العسكر الذي معك على ردّ مملكتي وإخراج هذا الرّجل منها، فإنّ معي من الجيش ما قدره ستّون ألفا لأحاصرها (يقصد مدينة تونس) برًا وتحاصرها أنت بحرا، فإذا استولينا عليها تكون البلاد لك، وأنا أكون كالنّائب عنك. (من كتاب «غزوات عرّوج وخير الدّين» للمؤرّخ سنان شاوش مطبعة ابن مراد الجزائر 1934).

وكان الإسبان في عام 1535م قد استغلّوا انشغال دولة الخلافة الإسلاميّة بردّ عدوان الدّولة الشّيعيّة الإيرانيّة في (تبريز) التي حاولت فرض مذهب الشّيعة الإثني عشريّة بقوّة السّلاح، ولكن ردّت على أعقابها. وتمكّنت إسبانيا في هذه الفترة من إعادة السّلطان المخلوع الحسن الحفصي إلى عرشه مقابل تنفيذه معاهدة تضمن للإسبان امتيازات واسعة هذا نصّها:

يدفع سلطان تونس 12000 دوكا ذهبا للإمبراطور كارلوس الخامس على قسطين كلّ عام، كما وعد سلطان تونس أن يسلّم كلّ عام للإمبراطور ستّة خيول عربيّة، وستّة صقور

اعترافاً منه بالجميل، وإذا لم يف بما ذكر، فإنّ عليه أن يدفع للإمبراطور خمسين ألفا دوكا ذهبا في المرّة الأولى والثّانية مائة ألف دوكا، وإذا لم يدفع تصادر مملكته لصالح جلالة الإمبراطور. كما يَعِدُ السّلطان ألاّ يعقد أيّة معاهدة ولا أيّة إتّفاقيّة أو تحالف مع أيّ أمير أو دولة تحمل نوايا عدوانيّة لجلالة الإمبراطور، وأنّ لا يؤوي أو يحمي أحدا من قراصنة البحر بل يعاقبهم ويقضي عليهم (ويقصد الإمبراطور المجاهدين المسلمين البحّارة)...

هل يختلف جوهر هذه الإتّفاقيّة عمّا تمّ من اتّفاقيّات بين فرنسا والدّول الحاكمة اليوم في تونس والجزائر والمغرب بعد ما سُمّي بمرحلة الإستقلال، فبدل تقديم المبالغ النّقديّة، تقدّم الثّروات المعدنيّة والبحريّة والزّراعيّة، وتفتح الأسواق الدّاخليّة للبضائع والإستثمارات الفرنسيّة، وتسود اللّغة والعادات الفرنسيّة. ومعاقبة القواصنة والقضاء عليهم أصبح اليوم ذبح المجاهدين في الحركات الإسلاميّة، والقضاء على الإسلام وقيمه السّامية بإفساد المرأة المسلمة -عماد المجتمع الإسلامي- وإهانة كرامتها بفرض تقاليد اليهود والنّصارى على حياتها اليوميّة.. هذه حقيقة أنظمة العمالة اليوم، لا تختلف عن عمالة السّلطان الحسن الحفصي.

نظام الإستعباد والتّحكّم عن بعد

وفي بداية القرن العشرين، بدأ العدوّ الصّليبي بتطوير نظام الإستعباد والتّحكّم عن بعد، بمساعدة هذه الدّول، فقد سحق الإنجليز الثّورة الجهاديّة المنتصرة التي قادها المهدي في السّودان بواسطة الجنود المصريّين التّابعين للدّولة الخديويّة في مصر.. كما قمع الفرنسيّون والإسبان ثورة المجاهد عبد الكريم الخطّابي في المغرب بواسطة الدّولة العلويّة، وكان هذا المجاهد قد سحق الجيش الصّليبي الإسباني في معركة أنوال المباركة، حيث أثبت المجاهدون المغاربة قدرة قتاليّة عالية وشجاعة وإيمانا عميقا بالإسلام عندما توفّرت لديهم قيادة مخلصة لدينها، وغير مرتبطة بالأعداء النّصارى بالمعاهدات الخيانيّة.. ومن المعلوم أنّه تمّ القضاء على تلك الثّورة الإسلاميّة المظفّرة بجنود الدّولة العلويّة المحسوبة على الإسلام وبقيادة الضّبّاط الفرنسيّين حكّام المغرب آنذاك.

إنّ نظام الإستعباد والتّحكّم عن بعد الذي طوّر ونُفّذ في منتصف هذا القرن بعد بناء قاعدة الدّول العميلة الحاليّة لهو أقلّ تكلفة وأكثر ديمومة من نظام الإحتلال العسكري

المباشر وتبعاته القاسية، مثل استثارة عقيدة الجهاد عند المسلمين، وبالتّالي توحيدهم من جديد أمام الخطر الدّيني الصّليبي، والدّخول في حروب عصابات طويلة الأمد وعلى امتداد رقعة جغرافيّة واسعة ومتنوّعة التّضاريس.. حروب استنزاف غير مضمونة النّتائج من النّاحية العسكريّة.. ولهذا بدأ التّخطيط لبناء حليف من السكان المحلّيين مرتبط بالغرب ومصالحه الماديّة، ومتبنّيا لثقافته المعادية للدّين الإسلامي، وعن طريق المدارس التّبشيريّة المنتشرة في العالم الإسلامي التي خرّجت العديد من الملاحدة والعلمانيّين الماسونيّين الذين بدورهم كوّنوا دينا جديدا اسمه (الدّيمقراطيّة)، هذا الدّين الجديد تسعى الدّول الغربيّة إلى نشره في عالمنا الإسلامي المعاصر كبديل عن الشّريعة الرّبّانيّة (الأحزاب السّياسيّة الوطنيّة والقوميّة والإشتراكيّة والدّينيّة المنحرفة). وطرحوا شعاراتهم البرّاقة من حريّة وعدالة واستقلال عن المستعمر، ومساواة المرأة المزعومة، وبرامجهم القوميّة والإجتماعيّة على النّمط الغربي.. فتحوّل الجهاد ضدّ المحتلّين الصّليبيّين إلى كفاح للتّحرر القومي والوطني من الإستعمار من دون تحديد للهويّة الدّينيّة والتّاريخيّة لهذا العدوّ، أو هذا الإستعمار كما يسمّونه، وهذا هو الهدف من التّعتيم والتّضليل على طبيعة وحقيقة الصّراع الدّيني الذي يخوضه العالم الصّليبي ضدّ الإسلام بعد تحطيم دولة الخلافة الإسلاميّة، وحتّى لا يوقظ الإحساس الدّيني الجهادي النّائم لدى المسلمين.

وقد وصلت الوقاحة بالأحزاب العلمانيّة إلى اعتبار الجهاد الإسلامي من بقايا الإقطاع العثماني. واعتبرت أنّ الصّراع هو كفاح ونضال وطني من أجل تحقيق الإستقلال، وبناء دولة عصريّة يُفصل فيها الدّين عن الدّولة، واللّحاق بركب الحضارة الغربيّة ناسين أو متناسين بأنّها حضارة نصرانيّة صليبيّة، وأنّ دولها ما هي إلاّ تعبير عن مجتمعاتها التي تقودها الكنيسة التي تعتبر المسلمين كفرة وثنيّين وأعداء لـ (الرّبّ المسيح). ووثائق الفاتيكان التّاريخيّة والدّول النّصرانيّة تؤكّد النّظرة العدوانيّة الدّينيّة.

من مبادئ جبهة التّحرير الوطني الجزائريّة:

«الثّورة الجزائريّة هي صراع وطني لتدمير النّظام الإستعماري الوقح وليست حربا دينيّة..

إنّا سير للأمام بالإتّجاه التّاريخي للإنسانيّة وليست عودة إلى الإقطاع، في النّهاية هي صراع من أجل ميلاد حكومة ديمقراطيّة واشتراكيّة، وليست لتوقيع صيغة ملكيّة أو حكم رجعي مبني على الحقّ الإلهي المقدّس.» (مؤتمر الصّومام 1956/08/20).

رجعي مبني على الحقّ الإلهي المقدّس.» (مؤتمر الصّومام 1956/08/20).

وخرجت فرنسا بعد أن أبادت أكثر من مليون ونصف المليون مسلما وبعد أن وقّعت إتّفاقيّة (إيفان) سنة 1962 مع النّظام المحلّي العميل لضمان مصالحها الحيويّة. وإلى الآن يستمرّ نهب النّفط والغاز الطّبيعي وتعمل في الجزائر أكثر من ألف شركة تجاريّة فرنسيّة.

لقد استطاع الغرب الصّليبي -بفضل غياب القيادة الإسلاميّة في بعض الأحيان وبفضل غياب الوعي السّياسي الدّيني للجماهير المسلمة أحيانا أخرى وعدم الإلتفاف حول الحركات الجهاديّة المسلّحة التي خاضتها الشّعوب الإسلاميّة لطرده من ديارها- استطاع الغرب الصّليبي أن ينصّب عملاء علمانيّين ماسونيّين أظهرهم بمظهر الوطنيّين، ومثالنا الدّولة الجزائريّة الحاليّة التي كوّنتها فرنسا الصّليبيّة بواسطة قادة جبهة التّحرير الوطني الجزائريّة ذات الصّفة اليساريّة/ الإشتراكيّة الأقرب إلى الشّيوعيّة.

ماهيّة وتعريف الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي اليوم

لا يخفى على حصيف أن يدرك أنّ العامل المشترك لهذه الأنظمة هو تبنّي العلمانيّة، تلك النّظريّة التي خرج بها علينا اليهود والنّصارى لتدمير أسس مجتمعاتنا الإسلاميّة القائمة على تعاليم الدّين الحنيف، الذي يشكّل مبرّر وجود هذه المجتمعات، وبذلك الوضع السّياسي الشّاذ الذي لا تعيشه عمليّا أيّة دولة في العالم الغربي رغم الإدّعاءات المزيّفة، حيث تعبّر هذه الدّول عن فكر وتراث وطموحات شعوبها وكنيستها التي تلعب دورا حاسما في سياسة هذه الدّول ومستقبلها، وبالتّالي مستقبل شعوبها. بل إنّ الدّول النّصرانيّة اليوم تقوم بخدمة الكنيسة وتمويلها من ميزانيّتها العامّة، وكذلك تمويل البعثات التّنصيريّة المنتشرة خارج البلاد، وتتبّع سياسة تعليم دينيّة بالمدارس والمعاهد والجامعات، وكذلك في المؤسّسات العسكريّة الصّليبيّة حيث ينتشر الرّهبان في مواقع الجيوش لتلقينهم تعاليم الكنيسة.

بينما تضع الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي نفسها وجها لوجه في حرب سرّيّة وبعض الأحيان مكشوفة ضدّ المجتمعات الإسلاميّة وتراثها، ودينها، وطموحاتها بالنّيابة عن دول الصّليب مثلما يحدث الآن في الجزائر ومصر بشكل خاص وباقي العالم الإسلامي بشكل عام..

إنّ المتتبّع لسياسات هذه الأنظمة الدّاخليّة منها والخارجيّة يستنتج بلا صعوبة ارتدادها عن الإسلام، وأنّ مصدر سياساتها نابع من مراكز القرار في الدّول الصّليبيّة

على رأس السّلطة والمنافع الماديّة التي تجنيها على حساب الشّعوب الإسلاميّة المستضعفة والنّائمة.. فهذه الأنظمة العميلة مرتبطة باتّفاقيّات سريّة بعد منحها الإستقلال المزعوم، وتقوم بتنفيذ بنود هذه الإتّفاقيّات بكلّ إخلاص ووفاء لسادتها في باريس وواشنطن ولندن وموسكو... ووقائع الجهاد اليوم في الجزائر تؤكّد مدى ارتباط هذه الأنظمة بدول الصّليب من خلال الدّعم الذي تقدّمه فرنسا للنّظام الجزائري هناك، من أحدث أنواع العتاد العسكري، والخبراء الميدانيّين لمقاومة حرب العصابات، والدّعم الإعلامي العالمي، وتسهيل القروض من المصارف العالميّة وتقديم الضّمانات.إنّها تشنّ حربا شعواء من قصور باريس المذهّبة والأنيقة غير آسفة على أحد هناك..

تدرك فرنسا وكلّ الغرب الصّليبي من ورائها أهميّة وجدّيّة نتائج الجهاد في الجزائر ومدى خطورة نجاحه وانتشاره بسبب توفّر الظّروف الإجتماعيّة والسياسيّة المتشابهة في الدّول المحيطة، وخاصّة المغرب وليبيا ومصر.. وهذا يعني مواجهة مباشرة مع الشّعوب المطلّة على البحر الأبيض المتوسّط، وخسارة لسياسة النّهب الإقتصادي المنظّم، ونهاية لسياسة الحرب السّرّيّة التي يمارسونها من عواصمهم بواسطة الأنظمة العميلة التي سيسقط بعضها في المستقبل المنظور بإذن الله، معلنة بداية نهاية هذه المرحلة الخيانيّة للأنظمة الحاكمة العلمانيّة الحاكمة تحت ضربات المجاهدين المسلّحين بالإيمان وكلّ فنون ومكائد الحرب التي سيتقنونها على مرّ الأيّام القادمة.. وعندئذ على الغرب الصّليبي أن يدفع ثمن الثّروات الطّبيعيّة من نفط وغاز وثروات بحريّة وزراعيّة ومعادن دماء جنوده لنهبها وسرقتها إن تمكّن، أو ينسحب مهزوما صاغرا بإذن الله ويدع عن ضعف وعجز التّدخّل في تدمير دولة الإسلام القادمة لا محال لأنّها إرادة الله سبحانه وتعالى، يمنّ بها على عباده المجاهدين.

لذلك ومن أجل الحفاظ لمدّة أطول على المصالح المجتناة من بلاد المسلمين يسعى الغرب الصّليبي إلى حصار المدّ الجهادي الذّي اشتدّ انتشاره في مناطق أهل الإسلام وربّما انتقل أثره إلى ديار الغرب، وذلك بعقد المؤتمرات العالميّة والإقليميّة لمحاصرة هذا المدّ المبارك وتوقيع الإتّفاقيّات الثّنائيّة والأمنيّة لمحاصرة ما يسمّونه (المدّ الأصولي) أو (الإرهاب)، وتبادل المعلومات حول تحركات المجاهدين في العالم..

(يتبع)



العلمانيّون وثورة الزّنج

الأستاذ حسام يوسف المصري

الحمد لله والصّلاة والسّلام على رسول الله.

تقدمة

كان لطه حسين السبق في إبراز حوادث النشاز في التاريخ الإسلامي؛ ففي 1946 م نشر مقالة في مجلة «الكاتب المصري» بعنوان ‹ثورتان› (1)حثَّ فيها طه حسين الأدباء والمثقفين العرب على استلهام ثورة الزنج كما استلهم الأوربيون ثورة سبارتكوس، بغية الوصول إلى العدالة المنشودة على حد زعمه. ومن ثم فقد فتح طه حسين شهية العلمانيين، وخاصة الماركسيين والشيوعيين ومن يسمون أنفسهم اليسار الإسلامي، وأرباب المدرسة الإعتزالية للنيل من الإسلام بحجة البحث والإبداع وإيصال الماضي بالحاضر!!

وفي منتصف الخمسينات نشر فيصل السامر الشيوعي العراقي كتابه ‹ثورة الزنج›. وفي سنة 1961م نشر اللبناني اليساري أحمد عُلبي كتابه ‹ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد›. ثم ألف د.محمد عمارة (معتزلي) كتابه ‹مسلمون ثوار› كتب فصلاً كبيراً عن صاحب الزنج وتعاطف معه وحسن صورته وبيض فتنته عكس من سبقه!! فأحمد علبي مثلاً ذكر أن لصاحب الزنج وثورته سلبيات.. أما عمارة فلم يثبت هذه السلبيات (أقصد الجرائم التي ارتكبها الزنج في حق الإسلام).. ثم توالت الكتابات فنشر معين بسيسو

مسرحيته الشعرية ‹ثورة الزنج›. وكتب نورالدين فارس مسرحيته الشعرية ‹لتنهضوا أيها العبيد›.. ثم عاود أحمد علبي الكتابة عن صاحب الزنج فنشر سنة 1985 كتابه ‹ثوار وعبيد›.. وفي 1995م صدر كتاب ‹شخصيات غير قلقة في الإسلام› لهادي العلوي خصّ أصحاب الزنج بفصل كامل وسار على درب من سبقه من يساريين وعلمانيين..

وبعد.. فكل هذه الكتابات تدندن حول التمجيد والإنتصار لصاحب الزنج وفتنته، وأنه كان ضحية مؤامرة تارخية كبرى!!

أما الكتاب الإسلاميّون فلا نكاد نجد كتابة حديثة عن صاحب الزنج وفتنته تعالج هذه القضية من منظور إسلامي بحت، لا من وجهة نظر ماركسية أوعلمانية أوقومية.. وقد يرجع ذلك إلى أن كتب التاريخ الإسلامي المعتمدة قد حسمت هذه القضية التاريخية بما فيه الكفاية، بل إن علماء الإسلام على اختلاف مشاربهم قد اتفقوا على تضليل وتفسيق هذه الفتنة التي يسميها العلمانيون «ثورة الزنج»!! ولكن لما دعت الحاجة إلى دحض شبهات المبطلين الطاعنين في الإسلام وعقيدته تحت ستار الدفاع عن صاحب الزنج والتعاطف معه، قمنا بكتابة هذه المقالة مساهمة منا في وضع لبنة، ودعوة الغيورين على تاريخ الإسلام أن يساهموا معنا في الذب عن تاريخ أمتنا التليد حتى يستبين الحق من الباطل.. ويظهر الغث من السمين.

أولاً: أقوال بعض العلمانيين ومن على شاكلتهم في صاحب الزنج

يقول أحمد علَبي: «أما الدافع الذي حملنا على انتقاء ثورة الزنج بالذات، فهو أن هذه الثورة تلقي نوراً كاشفاً على طبيعة العلاقات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية خلال القرن الثالث الهجري في الدولة العباسية؛ بالإضافة إلى أنها حلقة لاهبة من الثورات التي اجتاحت بلدان الخلافة في كل قطر من أقطارها، بحيث إن دراستها بعث لتراثنا الثوري، وإحياء فكري لنضال العبيد الزنج في سبيل الخبز والحرية» (2) «ولكن هل يعتقد القارئ أن الثورة انتهت إلى لاشئ؟ إن كل ثورة، مهما أصابت من النجاح الضئيل أوالفشل الذريع، هي وقود لثورة قادمة ومعركة تحريرية تالية. فالثورة المخفقة «تنجح» في تبيان أخطاء اخفاقها.. وتقود إلى ثورة أمضى. وثورة الزّنج كانت، على الأرجح، مهمازاً لثورة القرامطة وغيرها من الثورات التي شملت العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري» (3).

يقول أدونيس: «يتضح مما تقدم أن ثورة الزّنج هي من جهة ثورة عبيد على أسياد، وأنها من جهة ثانية وعد بحياة كريمة يملكون فيها ملك أسيادهم، وأنها من جهة ثالثة ذات

قيادة من طبيعة نبوية فهو لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا كما أعلن وإنما خرج «غضباً لله» ولِمَا رأى عليه الناس من فساد في الدين (..) وقد استمرت حركة الزّنج أربع عشرة سنة، بين سنة 255 هـ وسنة 270 هـ السنة التي قتل فيها علي بن محمد، وكانت في أساسها ثورة فقراء مسحوقين على أسياد طغاة ظالمين» (4).

يقول هادي العلوي: «مهما يكن فصاحب الزنج عربي لا زنجي وقيادته لحركة الزنج تندرج في ظاهرة ملحوظة في تاريخ الحركات الإجتماعية وهي أن المسحوقين غالباً ما يقود ثوراتهم وانتفاضاتهم ناس من خارجهم. ويرجع ذلك إلى عدم توافر الفرص لظهور القيادات بين المسحوقين وتوفرها للفئات والطبقات المالكة للثروة والمصدرة في المجتمع والتي تنعم بإمكانات تأهيل وتوعية تساعد على تشكيل الكفاءات في مناحي الحياة المختلفة.» (5).

يقول د. محمد عمارة: «عندما أكتب اليوم عن ثورة الزنج، وقائدها علي بن محمد(270 هـ/883 م) فإنني أحقق بذلك أمنية تمنيتها منذ مايزيد على ربع قرن من الزمان. فلقد قرأت يوماً صفحات كتبها المرحوم الدكتور طه حسين (1889م ـ 1973م) عن هذه الثورة، قارن بينها وبين ثورة سبارتكوس SPARTACUS (73 ـ 71 ق.م) لتحرير العبيد من مظالم الدولة الرومانية واستعبادها وتمنى في بحثه ذاك أن تحظى ثورة الزنج بما حظيت به ثورة سبارتكوس، في حقل الأدب والفن عندما استلهمها عدد من عمالقة هذا الميدان في حضارة الغرب، فقدموا لشعوبهم تراثهم القديم في الثوب الذي يعين هذه الشعوب على تحقيق المزيد من الحرية والتقدم لحاضرها الذي تعيشه ولمستقبلها المأمول . فمنذ ذلك اليوم تمنيت أن أكتب عن ثورة الزنج هذه.. وكبرت الأمنية ونمت مع السنوات، وخاصة بعد أن أصبح التراث العربي الإسلامي، وصفحاته المشرقة بالثورة، وبأحلام العدل الإجتماعي، وبإعلاء سلطان العقل كي يطارد الخرافة، هي الميدان الذي وقع عليه أغلب الجهد الذي قدمته وأقدمه في التأليف والتحقيق..)» (6).

ويقول في موضع آخر: «نعم انتهت ثورة الزنج وطافت الدولة العباسية برأس الثائر الشاعر العالم علي بن محمد في المدن والأمصار والآفاق، ولكن حلم الإنسان العربي المسلم بالعدل لم ينته بنهاية هذه الثورة» (7).

تنبيه:

مما لاشك فيه أن د. محمد عمارة له جهد واضح في الرد على العلمانيّين وخاصة في مناظرته لفرج فودة في معرض الكتاب الذي عقد بالقاهرة عام 1992م وكذلك كتابه في

الرد على العلمانيين ودحض شبهاتهم، ومناظرته الأخيرة لنصر حامد أبو زيد التي عرضت في القناة الفضائية «الجزيرة»، هذا كله جهد يعلمه المتتبع لكتابات د. عمارة ومقالاته في جريدة الشعب المعارضة بمصر، لكن الحقيقة التي لم ينكرها د. عمارة أنه يسير على منظومة المعتزلة في تقديم العقل على النقل، وإهدار سلطة النص القرآني والإستشهاد به وأحاديث الآحاد وحتى المتواترة على سبيل الإستئناس الذي يعضد ويوافق فكرته العقلية.. فالدكتور محمد عمارة رغم أنه ليس علمانياً بالمعنى الإصطلاحي إلاّ أنه ينطلق من نفس منطلقات العلمانيين في تقديم العقل على النقل.. فالدكتور عمارة يعتبر أن العصر الذهبي للحضارة الإسلامية كان في عصر المأمون والمعتصم والواثق «ولقد كان هؤلاء الخلفاء الثلاثة من أنصار التيار العقلاني في الفكر الإسلامي، إذ كانوا على مذهب المعتزلة أهل العدل والتوحيد.. وفي ظل حكمهم استخدم التيار العقلاني جهاز الدولة في إشاعة مفاهيمه، وتدعيم القسمات التي تميزت بها حضارتنا في عصرها الذهبي هذا» (8). ويتهم عمارة الخليفة المتوكل بالتخلف والجمود لأنه نصر أهل السنة وقضى على فتنة خلق القرآن: «وهكذا تحولت الإدارة التي أرادها المعتصم حصناً للحضارة العقلانية، ضد (العامة)، تحولت إلى حصن للفكر المتخلف انطلقت منه (العامة) وفقهاؤها ليصيبوا ذلك المد الحضاري العقلاني، بالتوقف، فالجمود، فالتراجع، وذلك بمجرد استيلاء الخليفة المتوكل (232 ـ247هـ) على السلطة بعد موت الخليفة الواثق!.. ولقد رضيت العامة وفقهاؤها، من النصوصيين، لقصر نظرها، عن هذا الإنقلاب» (9). هكذا نجد أن د. عمارة يصب في نفس قناة العلمانيين.. ففي نظر عمارة الخليفة المتوكل استولى على السلطة رغم علمه أن الحقيقة غير ذلك وأنه بويع بيعة صحيحة، ورغم علمه أن الخليفة المتوكل يعتبر من الخلفاء العلماء الأدباء، الذي كان يمتحن العلماء ويناقشهم في مسائل علمية وشرعية عويصة عكس الخليفة المعتصم رغم عظم قدره في الجهاد في سبيل الله.. لكن لماذا تحامل عمارة على المتوكل وعلى فقهاء الأمة في هذا الزمان وهم الإمام أحمد وابن راهويه والبخاري ومسلم وأبي زرعة الرازي وأصحاب السنن وغيرهم من العلماء الذين نتشرف بذكر أسمائهم ونأخذ عنهم أحاديث الأحكام والعقائد .. فلماذا تحامل على هؤلاء؟! ألأنهم دافعوا عن منهج السلف الصالح وقدموا النص على العقل، أمْ لأنهم دحضوا شبهات المعتزلة وأصولهم الخمسة:

- التوحيد.
- العدل.
- الوعد والوعيد.

- المنزلة بين المنزلتين.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!!..

عودٌ إلى ثورة الزنج:

ثانياً: مؤامرة تاريخية كبرى على صاحب الزنج!!

لقد تحامل العلمانيون ومن على شاكلتهم على علماء الإسلام وخاصة شيخ الإسلام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري!! لماذا؟ لأن ابن جرير هو عمدة الرواة في سرد هذه الفتنة، فابن جرير في مواطن أخرى لهؤلاء العلمانيين هو العالم والمؤرخ الحر الذي لم يكن ممالئاً للسلطة!! أما إذا جاء بما لم يوافق هواهم فابن جرير هو بوق لمؤسسة اعلامية كبرى!! ابن جرير يتكلم باسم السلطة، هناك مؤامرة تاريخية من أصحاب المذهب التقليدي النصوصي!! وأصاب ابن جرير ما يصيب غيره من علماء الإسلام من تجريح وطعن وتفسير تآمري للتاريخ!! رغم أن ابن جرير ولد سنة 224هـ، وتوفي سنة 310هـ وفتنة الزنج اندلعت سنة 255هـ واستمرت حتى قضي عليها سنة 270هـ معنى ذلك أن ابن جرير عاصر هذه الحركة منذ بداية دعوتها 249هـ أي قبل الإعلان وتأسيس عاصمة الزنج «المختارة» مروراً بسنة 255هـ حتى نهايتها بمقتل صاحب الزنج سنة 270هـ . فابن جرير كان قريباً من الأحداث وكان يدون تلك الأحداث بما يشبه التقارير اليومية لدرجة أنه أفرد أكثر من مائتي صفحة في كتابه الضخم ‹تاريخ الأمم والملوك› نظراً لقربه من مسرح الأحداث. فابن جرير شاهد على عصره وشاهد على فتنة كادت أن تقوض دعائم أرض الخلافة التي صارت مرتعاً لكل طامع.. ورغم كل هذه ورغم ما ذكرناه سابقاً من شهادتهم له بالأمانة وعدم التبعية للسلطة الحاكمة.. إلا أنهم أبوا إلا الطعن فيه ليسهل الطعن في كل علماء التاريخ الذين أخذوا عن ابن جرير، ومن ثم يتحقق لهؤلاء المبطلين مأربهم من النيل من الإسلام وعقيدته..

فهذا هادي العلوي يسير على منهج المستشرق الفرنسي «ماسينيون» ويردد نفس مقولته عن الطبري: «وكان الطبري مقاطعاً للسلطة على طريقة فقهاء القرن الأول وكان يتمتع بقسط من حرية الرأي والإجتهاد مع الإتجاه إلى مطالعة كتب الفلسفة في السر لكن معالجته لثورة الزنج بدت كما لو أنها من فعل مؤسسة اعلامية وجهت لدعم حرب العباسيين ضد قائدها الذي يرجع تلقيبه بالخبيث إلى الطبري نفسه» (10).

ويقول هادي العلوي في موضع آخر: «وقف المجتمع الإسلامي بأسره ضد صاحب الزنج فسحب منه هويته كما منحه لقب «الخبيث» الذي صار علماً عليه في مصادر التاريخ بدءاً من الطبري (..) ولم يدافع عن الثورة أحد من الفرق ولا الشخصيات الثقافية أو الإجتماعية» (11).

أما محمد عمارة: «فالطبري يقدم أهم أخبارها، وأكثرها ينطلق في تأريخه لها من منطلق العداء، بل والعداء الشديد.. فهو يطلق على قائدها: علي بن محمد، أوصافاً من مثل: «الخبيث»! و«اللعين»! و«الخائن»! و«الفاسق»! بل ويكتفي بصفة من هذه الصفات أو أكثر، عندما يريد الحديث عن قائد الزنج، ولايذكر اسمه إلا في القليل» (12).

أما أحمد عُلبي فيقول مستنكراً أوصاف الطبري لصاحب الزنج: «ولهذا فإن مقتل صاحب الزنج بعد جهاد جهيد كان بمثابة «البشير» كما ورد لدى الطبري (ت 310 هـ) الذي هو بمنزلة المؤرخ الرسمي لثورة الزنج: «جاء البشير بقتل الفاجر» إلى الموفق، ثم وافاه أحدهم يحمل كفاً يزعم أنها كف صاحب الزنج. ثم «أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث». وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه» ولا يدهشن قارئ بأمثال هذين النعتين لقائد ثورة الزنج: الفاجر، الخبيث. فكل متمرد وإن كان الحق ملء بُرديه والعدالة سرباله وفيض يديه هو في نظر السلطة القائمة قمينٌ بكل النعوت ابتداءً من الخيانة حتى الفجور والالحاد، لأن الإيمان يغدو هنا حكراً على السلطة أو أمير المؤمنين، أياً كانت سيرته» (13).

هكذا نخلص إلى استهجان العلمانيين ومن يسيرون على خطاهم يسبقهم ملهمهم المستشرق الفرنسي ماسينيون: من وصف الطبري لصاحب الزنج بالخبيث فإنهم جميعاً يتميزون غضباً وحنقاً على الإمام الطبري لأنه ينعت صاحب الزنج بالخبيث واللعين والفاجر ..إلخ.. وأنه كان لزاماً على الطبري أن ينعت علي بن محمد صاحب الزنج بما ليس فيه.. كان لزاماً على الطبري أن ينعت من يسفك الدماء وينتهك المحارم ويستبيح بيضة الإسلام ويروع الآمنين ويقتل الأطفال.. كان لزاماً على الطبري أن ينعت هذا السفاح السفاك -الخارج عن الخليفة الشرعي- بالبطل المغوار والثائر المجاهد والمؤمن التقي!! فماذا عسى هذا الإمام العظيم الطبري أن يقول؟!

والله لقد كان مهذباً في نعته لصاحب الزنج.. فالعلمانيون في نعتهم لمجاهدي هذا الزمان - حفظهم الله- يصفونهم وينعتونهم بألفاظ ماأنزل الله بها من سلطان من مثل «بلطجية»، مجرمون، ارهابيون، متطرفون ..الخ. فهؤلاء العلمانيون يكيلون بمكيالين، بل لايحترمون عقولهم!!

العلمانيون والشاعر ابن الرومي

لقد أغضب الشاعر أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الشهير بابن الرومي(ت284هـ) تيار اليسار الإسلامي وأصحاب العلمنة الغربية وغيرهم لأنه رثا مدينة البصرة وبكاها في شعره بعدما خربها الزنج، وكانوا ينظرون إليه على أنه شاعر ساخط على الخلافة العباسية لأنه ليس عربياً!! وليست هذه الدراسة للدفاع أو أداء موقف من ابن الرومي، فابن الرومي له تصرفات شخصية لكن لاتصل إلى مايتمناه العلمانيون.. فكما ذكر ابن رشيق القيرواني(ت456هـ): «كان ابن الرومي كثير الطيرة: ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً بسوء ما يراه أو ما يسمعه، حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله في الطيرة، فبعث إليه خادماً اسمه إقبال ليتفاءل به، فلماأخذ أهبته للركوب قال للخادم: انصرف إلى مولاك فأنت ناقص، ومنكوس اسمك لا بقَا..» (14).. لعل تشاؤم ابن الرومي وسخطه كان مفتاح شخصيته.. لكنّ العلمانيين أساءهم صنيع ابن الرومي وهو يهجو صاحب الزنج لتسميه بلقب إمام:

وتسمَّى بغير حقٍ إماماً ... لاهدى اللهُ سعيَه من إمام

ولم يعجبهم وصف ابن الرومي دخول الزنج البصرة:

دخلوها كأنهم قِطعُ الليـ ... ـل، إذا راحَ مُدلَّهِمَّ الظلام

ولم يعجبهم وصفه لأفاعيل وجرائم الزنج في أهل البصرة:

كم أبٍ قد رأى عزيزَ بَنيه ... وهو يُعلى بصارمٍ صَمْصام
كم رضيعٍ هناك قد فطموهُ ... بِشَبَا السيفِ قبلَ حين الفطام

ولم يعجبهم وصف ابن الرومي لأطلال البصرة وما حلّ بها من خراب:

وخلت من حلُولها فهي قفرٌ ... لاترى العينُ بين تلك الآكام
غيرَ أيْدٍ وأرْجُلٍ بائنات ... نُبِذَتْ بينهنّ أفلاقُ هام
ووجوه قد رَمَّلتها دماءٌ ... بأبي تلكمُ الوجوهُ الدوامي
وُطئت بالهوان والذُل قسراً ... بعد طول التبجيلِ والإعظام
فتراها تسفي الرياحُ عليها ... جارياتٍ بهَبْوةٍ وقَتَام

خاشعاتٍ كأنها باكياتٌ   باديات الثغور، لا لابتسامِ

ولم يعجبهم حض ابن الرومي فقهاء المسلمين على الجهاد:

كم خذلنا من ناسكٍ ذي اجتهادٍ   وفقيهٍ في دينه عَلَّامِ

ولم يعجبهم أيضاً في نهاية القصيدة حث ابن الرومي المسلمين على الأخذ بالثأر وتحرير السبايا ووصفه لصاحب الزنج باللعين:

إنْ قعدتُم عن اللعين فأنتم   شركاءُ اللعين في الآثامِ

ويهاجم هادي العلوي ابن الرومي بقوله: « وتكشف قصيدة ابن الرومي في البصرة عن نقطة التقاء فاقعة بين الطرفين. وابن الرومي مؤيد للعلويين مناوئ للعباسيين، ولم يكن يحب تلك الدولة التي عاش في ظلها ينظر بعين الحسد إلى الشرطة، إنه لم يجد في عصيان الزنج ما يَلأم جروحه بل بالعكس، فقد نكأها بما أيقظه في روحه من عرقية بيضاء يعززها نسب يوناني صريح ومن حس السيادة لدى مالك العبيد وهكذا وجد نفسه في صف مجوعيه العباسيين يبكي على جمال البصرة الذي دنسه التنين الأسود» (15).. انظر إلى هذا التحليل!! فقصيدة ابن الرومي حوالى 83 بيتاً لم نجد فيها البكاء على الخبز والجوع، بل على العكس فكلها حض على الجهاد ورثاء لما حلَّ بحريم المسلمين وما ارتكبه الزنج من مجازر بحق الشيوخ والأطفال والنساء.. ومآلت إليه حال تلك المدينة التي كانت آمنة من قبل أن يخربها الزنج.. هكذا يفسر العلمانيون حوادث التاريخ من خلال منظور مادي بحت.. وكأن ابن الرومي لم يكن مسلماً أباً عن جد .. فقد جردوا الرجل حتى من مشاعره وعقيدته الإسلامية التي حركته ليحض المسلمين وفقهاءهم لنجدة السبايا والإنتصار لدين الله..

بالطبع لم يكن الطعن موجهاً لابن الرومي فقط، فكل الشعراء الذين عاصروا هذه الفتنة مثل ابن الرومي ويحيى بن محمد الأسلمي ويحيى بن خالد بن مروان وغيرهم قد أصابهم سهم التجريح وتهمة التآمر مع السلطة!! فنجد أحمد عُلبي يقول :«ولاننتظر أن ينهض بين الشعراء المتكسبين المرتزقة من يقف في صف صاحب الزنج ويعاضد ثورته، فالشعر العربي كان في معظمه، وقفاً على فئة أرستقراطية حاكمة أو نافذة، فعكس مآربها، ونظم حياتها الزاهية، وظل يدور في دائرة مترفة، ولم يتعدَّ عتبة القصور إلا لماماً. (..) وابن الرومي الذي رثى يحيى بن عمر العلوي أجمل رثاء، هذا الشاعر نفسه نظر إلى

ثورة الزّنج وصاحبها نظرة تقليدية، فقال (16) (..):

أيّ نوم من بعد ما انتهك الزّ　　نجُ جِهاراً محارم الإسلام

أقوال بعض علماء الإسلام في صاحب الزنج وفتنته:

1- الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري:

قال ابن جرير في أحداث 255هـ: «وللنصف من شوال من هذه السنة ظهر في فرات البصرة رجلٌ زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السِّباخ، ثم عبر دجلة، فنزل الديناريّ» (17).

ويقول الطبري مكذباً ادعاء صاحب الزنج بأنه علوي النسب فيصحح نسبه: «وكان اسمه فيما ذكر ـ علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه عبد القيس، وأمه قرّة ابنة علي بن رجب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة، من ساكني قرية من قرى الري يقال لها«وَرْزَنين» بها مولده ومنشؤه» (18).

«ثم إنه شَخَصَ ـ فيما ذكر ـ من «سامرا» سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين فادّعى بها أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، ودعا الناس بهجر(مدينة كانت تابعة للبحرين) إلى طاعته، واتبعه جماعة كثيرة من أهلها (..) فانتقل (..) إلى الأحساء، وضوى إلى حي من بني تميم ثم من بني سعد، يقال لهم بنو الشماس، فكان بينهم مقامه. وقد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محلَّ النبي (..) وقاتلوا أسباب السلطان بسببه ووتر منهم جماعة كثيرة، فتنكروا له فتحوّل عنهم إلى البادية» (19).

وكان صاحب الزنج يتلون ويغير اسمه حسب البلد والقبيلة التي ينزل فيها فيقول الطبري: «وذكر أنه عند مصيره إلى البادية أوهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبا الحسين المقتول بناحية الكوفة، فانخدع بذلك قوم منهم، حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الردم، فكانت بينهم وقعة عظيمة كانت الدائرة عليه وعلى أصحابه، قُتلوا فيها قتلاً ذريعاً، فنفرت منه العرب وكرهته، وتجنّبت صحبته. فلما تفرقت عنه العرب، ونبت به البادية، شَخَصَ عنها إلى البصرة، فنزل بهافي بني ضُبيعة فاتبعه بها جماعة منهم علي بن أبان المعروف بالمهلبي.(..) وكان قدومه البصرة في

سنة أربع وخمسين ومائتين، ومحمد بن رجاء الحضاري عامل السلطان بها، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية، فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه، فأمر أربعة نفر من أصحابه فخرجوا بمسجد عبّاد(..) وهم الذين كانوا صحبوه بالبحرين، فدعوا إليه فلم يجبه من أهل البلد أحد، وثاب إليهم جند السلطان، فتفرقوا ولم يظفر بأحد منهم. فخرج من البصرة هارباً(..) ثم سار إلى مدينة السلام (بغداد) فأقام بها حولاً، وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد، وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه آيات، وعرف ما في ضمائر أصحابه، وما يفعله كلّ واحد منهم؛ وأنه سأل ربه آيةً أن يعلم حقيقة أمره، فرأى كتاباً يُكتب له، وهو ينظر إليه على حائط، ولايرى شيئاً» (20).

ويسترسل الطبري في حديثه: «وذكر بعض تُبّاعه أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعة منهم جعفر بن محمد الصُّوحاني (..) ومحمد بن القاسم وغلاما يحيى بن عبدالرحيم بن خاقان: مشرقاً ورفيقاً فسمى مشرقاً حمزة وكنّاه أباأحمد، وسمّى رفيقاً جعفراً وكنّاه أبا الفضل. ثم لم يزل عامه بمدينة السلام حتى عُزل محمد بن رجاء عن البصرة، فخرج منها، فوثب رؤساء الفتنة من البلالية والسعدية، ففتحوا المحابس، وأطلقوا من كان فيها؛ فتخلصوا فيمن تخلص. فلما بلغه خلاص أهله، شخص إلى البصرة، فكان رجوعه إليها في شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين» (21).

نلاحظ أن صاحب الزنج كل هذه الفترة لم ينضم إليه أي زنجي، فعلى مدار سبع سنوات كان يدعو العرب فقط وكان كل قواده من الأعراب، أو بالأحرى كان جلّ أتباعه من اللصوص وقطاع الطريق والهاربين من السجون والمطاريد!!

ثم متى وكيف ضم إليه الزنج وهم جماعة من العبيد من السودان ومن بلاد الحبشة كانوا يشتغلون في استصلاح الأراضي الزراعية في البصرة وضواحيها؟

ذكر ابن جرير أن أول من انضم إليه من العبيد غلام اسمه «ريحان بن صالح».. وفي سنة 255هـ اتخذ صاحب الزنج لواءً مكتوبا عليه بحمرة وخضرة الآية 111 من سورة براءة :(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله..).. وكتب اسمه واسم أبيه على هذا اللواء، وعلقه في خشبة وأخذ يعد العبيد ويحرّضهم على عصيان مواليهم بل أمر هؤلاء الغلمان بضرب مواليهم.. يقول الطبري في ذلك: «فأمر غلمانهم فأحضروا شَطْباً (سعف أخضر من جريد النخل) ثم بطح كل قوم مولاهم ووكليهم، فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة» (22).

وهكذا انضم الزنج إلى دعوة هذا المتمرد الخبيث، «فلما صار إلى القادسية والشيفيا(..) أمر غلمانه بانتهاب القريتين، فانتهب منهما مالاً عظيماً، عيناً وورقاً وجوهراً

وأواني ذهب وفضة وسبى منهما يومئذ أربعة عشر غلاماً ونسوة، وذلك أول سبي سُبي..»(23).

- وفي أحداث 257هـ يقول الطبري: «ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام. وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة. فلما كان في شوال من هذه السنة أزمع الخبيث على جمع أصحابه للهجوم على أهل البصرة، والجد في خرابها، وذلك لعلمه بضعف أهلها وتفرقهم ، واضرار الحصار بهم، وخراب ماحولها من القرى» (24).

ادعاؤه أنه كان يوحى إليه:

يقول الطبري: «فذكر عن محمد بن سهل أنه قال: سمعتُه يقول: اجتهدتُ في الدعاء على أهل البصرة، وابتهلت إلى الله في تعجيل خرابها، فخوطبتُ، فقيل لي: إنما البصرة خُبزَةٌ لك تاكلها من جوانبها؛ فإذا انكسر الرغيف خربت البصرة..» (25).

غدره بأهل البصرة:

«ولم يكن في وجهه أحد يدافعه، ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبي، فاستأمنه لأهل البصرة فأمّنهم، ونادى منادي إبراهيم بن يحيي: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم، فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملئوا الرّحاب. فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة في ذلك منهم، وأمر أصحابه بقتلهم، فقتل كل من شهد ذلك المشهد إلا الشاذّ» (26).

الإعتداء على قوافل الحجاج:

في أحداث 266هـ يقول الطبري: «وفيها وثب الأعراب على كسوة الكعبة، فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزنج، وأصاب الحاج فيها شدة شديدة» (27).

- وفي أحداث سنة 269 هـ : «قطع الأعراب على قافلة من الحاج بين تور وسميراء، فاستلبوهم واستاقوا نحواً من خمسة آلاف بعير بأحمالها وأناساً كثيرين» (28).

- وفي أحداث 267 هـ: « دخل صاحب الزنج رامهرمز فاستباحها».

- وفي أحداث 264 هـ: «دخل الخبيث واسط واستباحها وخربها».

- وفي أحداث 267 هـ: يقول ابن جرير: «وظفرأبوالعباس برئيسهم ثابت بن أبي دلف،

فمنّ عليه واستبقاه، وضمه إلى بعض قوّاده، (..) واستُنْقِذ يومئذ من النساء اللواتي كنّ في أيدي الزنج خلق كثير، فأمر أبو العباس بإطلاقهن وردهنّ إلى أهلهنّ، وأخذ كلّ ما كان الزنج جمعوه.» (29).

– وفي أحداث 267 هـ : «واستنقذ أبو أحمد (الموفّق) من نساء أهل واسط وصبيانهم ومما اتصل بذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف. فأمر أبو أحمد بحياطتهم والإنفاق عليهم، وحُملوا إلى واسط ودُفعوا إلى أهليهم» (30).

اعذار وانذار من الموفق إلى صاحب الزنج:

في أحداث 267 هـ ذكر ابن جرير: «ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك (..) كان أول ماعمل به في أمر الخبيث (..) أن كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ركب من سفك الدماء وانتهاك المحارم وإخراب البلدان والأمصار، واستحلال الفروج والأموال، وانتحال ما لم يجعله الله له أهلاً من النبوة والرسالة، ويعلمه أن التوبة له مبسوطة، والأمان له موجود، فإن هو نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخطها الله، ودخل في جماعة المسلمين، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه، وكان له به الحظ الجزيل في دنياه. وأنفذ ذلك مع رسوله إلى الخبيث، فألقاه الرسول إليهم، فأخذوه وأتوا به إلى الخبيث، فقرأه فلم يزده ما كان فيه من الوعظ إلا نفوراً وإصراراً، ولم يجب عن الكتاب بشئ. وأقام على اغتراره، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره بما فعل، وترك الخبيث الإجابة على الكتاب» (31).. ربما يقول قائل إن صاحب الزنج خشي أن يغدر به الموفق.. هذا التصور غير صحيح لأن صاحب الزنج يعلم جيداً أن الموفق شخصية دَيِّنَة وهو أخو الخليفة كما أنه الأمر الناهي في أرض الخلافة وأنه لم يغدر بأحد من قبل بدليل أن كثيراً من قواد صاحب الزنج لما أرسل لهم دعوته للأمان والرجوع والإنابة رجعوا ولم يفتك بهم بل على العكس صاروا في مقدمة الصفوف يقاتلون صاحب الزنج ويدلون على أماكن اختبائه.. فالغدر كان من شيمة صاحب الزنج وأتباعه الذين غدروا بأهل البصرة وواسط والأبلة وعبادان ورامهرمز كما علمنا آنفاً، وسنزيد من ذلك في الفقرات القادمة.

بيع حرائر المسلمين وكشف عوراتهن:

في أحداث 267 هـ ذكر ابن جرير خبر مقتل أحد قواد الخبيث ويدعى صندل: « وكان

- فيما ذكروا - يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورؤوسهن ويقلبهن تقليب الإماء، فإن امتنعت منهنّ امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج يبيعها بأوكس الثّمن»(32).

- وفي أحداث 269 هـ: «واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث استرقهنّ، ودخل غلمان الموفق سائر دور الخبيث ودور ابنه انكلاي، فأضرموها ناراً، وعظم سرور الناس بما هيأ الله لهم في هذا اليوم» (33).

- في أحداث 269 هـ: «واستنقذوا من النساء والأطفال مالايُحصى عدده» (34).

«وهرب الخبيث في ذلك اليوم ولم يوقف في ذلك على مواضع أمواله. واستنقذوا في هذا اليوم نسوة علويات كنّ محتبسات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها، فأمر الموفق بحملهنّ إلى عسكره وأحسن إليهنّ، ووصلهنّ » (35).

معاملة الموفق نساء وأولاد صاحب الزنج:

ذكر ابن جرير :«وأخذوا حرمه وولده الذكور والإناث، وكانوا أكثر من مائة بين امرأة وصبي، وتخلص الفاسق ومضى هارباً نحو دار المهلبي، لا يلوي على أهل ولا مال، وأحرقت داره وما بقي فيها من متاع وأثاث وأتى الموفق بنساء الخبيث وأولاده، فأمر بحملهم إلى الموفقية (مدينة بناها الموفق أمام مدينة الخبيث) والتوكيل بهم والإحسان إليهم» (36).

هكذا كانت أخلاق أبي أحمد (الموفّق) وابنه أبي العباس الذي صار خليفة فيما بعد.. وكان هذا دأب الموفق في حروبه ضد الأعداء.. ففي أحداث 269 هـ: «فأمر جماعة من غلمانه السودان وعرفائهم بأن يقصدوا المواضع التي يعتادها الزنج، وأن يستميلوهم ويستدعوا طاعتهم فمن أبى الدخول منهم في ذلك قتلوه وحملوا رأسه، وجعل لهم جعلاً؛ فحرصوا وواظبوا على الغدو والرواح؛ فكانوا لايخلون في يوم من الأيام من جماعة يجلبونهم، ورؤوس يأتون بها، وأسارى يأسرونهم» (37).

حكم الموفق في أسرى الزنج ورحمته بهم:

أعتقد أن العلمانيين يحسنون القراءة، لكنهم لايحسنون الفهم، (فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) [الحج 46].. فهذا أنموذج لما كان يتعامل به الموفق

وابنه مع أسرى الزنج ومن يأتيه مستأمناً ففي أحداث 269 هـ ذكر الطبري: «ولمّا كَثُر أسارى الزنج عند الموفق، أمر باعتراضهم؛ فمنْ كان منهم ذا قوة وجَلد ونهوض بالسلاح منّ عليه، وأحسن إليه، وخلطه بغلمانه السودان، وعرّفهم مالهم عنده من البرّ والإحسان، ومن كان منهم ضعيفاً لاحراك به، أوشيخاً فانياً لايُطيق حمل السلاح، أومجروحاً جراحة قد أزمَنَتْه، أمر بأن يكسى ثوبين، ويوصل بدراهم، ويُزوّد ويحمل إلى عسكر الخبيث، فيلقى هناك بعد ما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموفّق إلى كل مَنْ يصير إليه، وأنّ ذلك رأيه في جميع من يأتيه مستأمناً ويأسره منهم؛ فتهيأ له من ذلك ماأراد من استمالة أصحاب صاحب الزنج، حتى استشعروا إلى ناحيته والدخول في سلمه وطاعته» (38).

هكذا كان الموفق قائد هذه الحروب، فمن الذي يستحق أن يتغنى بأمجاده؟! الموفق هذا الرجل القوي الرحيم الشفوق صاحب الدين والمروءة أم ذاك الخبيث سفاك الدماء الغادر الخائن المخالف للوعود والعهود؟!! والله لوأنصفوا لأشادوا بأبي أحمد الموفق ولصبوا اللعنات على صاحب الزنج السفاح الموتور!! لكنهم لايخجلون لمرض في قلوبهم!!

«وانصرف الموفق ومعه أبو العباس وسائر قواده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق واستنقذوا جمعاً من النساء اللواتي كان غلب عليهن من حرم المسلمين كثيراً» (39).

نهاية صاحب الزنج ودولته

في سنة 270 هـ: «وانتهى الموفق إلى نهر أبي الخصيب، فوافاه البشير بقتل الفاجر، ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كفّ زعم أنها كفه، فقوي الخبر عنده بعض القُوّة. ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض على فرس، ومعه رأس الخبيث، فأدناه منه، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قوّاد المستأمنة، فعرفوه. فخرّ لله ساجداً على ما أولاه وأبلاه، وسجد أبو العباس وقوّاد موالي الموفق وغلمانه شكراً لله، فأكثروا حمد الله والثناء عليه، وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه، فتأمله الناس وعرفوا صحة الخبر بقتله، فارتفعت أصواتهم بالحمد لله» (40).

إنه منظر مهيب يحرك المشاعر ويلين القلوب قبل العيون.. أن ترى جيشاً بأسره ساجداً لله، على ما أيّدهم بنصره.. إنها صورة مهيبة تهز كيان الإنسان وتزلزل مشاعره وأحاسيسه وهو يرى خليفة المسلمين وولي العهد وعامة الجند وعوام المسلمين؛ قويهم

وضعيفهم، يؤدون وظيفة العبوديّة لله، يمرغون ووجوههم في التراب شكراً وحمداً لله رب العالمين الذي أنقذهم وحررهم من هذا الورم الخبيث الذي كاد أن يقضي على الأخضر واليابس، ويحرق نور الإيمان.. إنه منظر يهيّج القلوب المتعطشة إلى شفاء الغليل وذهاب الغيظ، فكانت التسابيح والتهاليل تهز أركان أرض الخلافة، فالحمد لله على نصره رغم أنوف العلمانيين.

- وفي أحداث 270 هـ يلخص لنا الطبري تلك الحقبة بقوله: «وكان خروج صاحب الزنج في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين، فكانت أيامه منذ خروجه إلى اليوم الذي قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وخمسين ومائتين، وكان دخوله البصرة وقتله أهلها وإحراقه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين» (40)

2 - قول الحافظ أبي الفرج الجوزي:

في أحداث 255 هـ يقول أبوعبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي في كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»: «ظهر في نواحي البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد (..) بن علي بن أبي طالب (..) ومرّ على قرية فخالفوه، فانتهب مالاً عظيماً، وجوهراً كثيراً، وغلماناً ونسوة وذلك أول سبي سباه..» (42).

- وفي أحداث 270 هـ ذكر ابن الجوزي: «أن أبا أحمد ألحّ على حربه، ورغب الناس في جهاد العدو، فصار معه جماعة من المطوعة، ورتب الناس وأمرهم أن يزحف جميعهم مرة واحدة، وعبر يوم الإثنين لثلاث بقين من المحرم سنة سبعين فنصر ومنح أكتاف القوم، فولوا منهزمين واتبعهم الناس يقتلون ويأسرون، فقتل ما لا يحصى وخربت مدينة الخبيث بأسرها، واستنقذوا ما كان فيها من الأسارى من الرجال والنساء والصبيان، وهرب الخبيث وخواصه إلى موضع قد كان وطأه لنفسه ملجأ إذا غلب على مدينته، فتبعه الناس، فانهزم أصحابه (..) فلقي الناس قواد الفاسق فأسروهم، وجاء البشير بقتل الفاسق، ثم جاء رجل معه رأس الفاسق، فسجد الناس شكراً لله تعالى، وأمر أبو أحمد فرفع على قناة فارتفعت أصوات الناس بحمد الله تعالى وشكره، وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى الأمصار بالنداء في أهل البصرة، والأبلة، وكور دجلة، والأهواز وكورها، وأهل واسط، وما حولها مما دخله الزنج بقتل الفاسق، وأن يُؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم..» (43).

3 - العلامة عزالدين ابن الأثير:

في أحداث سنة 257 هـ ذكر ابن الأثير إحراق البصرة على أيدي الزنج: «ودخل عليُّ بن أبان (أحد قواد صاحب الزنج) الجامع فأحرقه، وأُحرقت البصرة في عدة مواضع، منها المربد، وزهران، وغيرهما، واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل، وعظم الخطب، وعمّها القتل والنهب والإحراق، وقتلوا كلّ من رأوه بها، فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه، ومن كان فقيراً قتلوه لوقته، بقوا كذلك عدة أيام» (44).

هكذا كانت أمجاد ثورة الزنج احراق المساجد، وقتل الأغنياء والفقراء فأين هي ثورة الخبز ونصرة الفقراء كما يزعمون؟!!

- وفي أحداث 267 هـ ذكر ابن الأثير: «ورجع أبو أحمد إلى معسكره، وقد استنقذ من المسلمات زُهاء خمسة آلاف امرأة سوى من ظفر به من الزنجيات، وأمر أبو أحمد بحفظ النساء وحملهنّ إلى واسط لدفعن إلى أهلهنّ، ثم بكر إلى المدينة فأمر الناس بأخذ ما فيها، فأُخذ جميعه، وأمر بهدم سورها، وطمس خندقها، وإحراق ما بقي فيها من السفن، وأخذوا من الطعام، والشعير، والأرز، وغير ذلك، ما لا حدّ عليه، فأمر ببيع ذلك وصرفه إلى الجند» (45).

4 - أبوالمحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي:

في أحداث 255 هـ يقول ابن تغري بردي: «فيها كان ابتداء خروج الزنج، وخرج قائدهم بالبصرة، فلما خرج انتسب إلى زيد بن علي (..) بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ وهذا نسب غير صحيح. وانضم إليه معظم أهل البصرة، وعظم أمره وفعل بالمسلمين الأفاعيل» (46).

- وفي أحداث 270 هـ يقول ابن تغري بردي: «وفيها توفي علي بن محمد صاحب الزنج(..) وكانت مدّة إقامته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام، ولَقِيَ الناسُ منه في هذه المدة شدائد؛ قال الصولي: قتلَ من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف مابين شيخ وشاب وذكر وأنثى، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف. وكان له منبر في مدينته يصعدُ عليه ويسبّ فيه عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ وهذا هو رأي الخوارج الأزارقة ـ لعنة الله عليهم ـ واستراح المسلمون بموته

كثيراً ولله الحمد والمنة» (47).

5 - الحافظ جلال الدين السيوطي:

ذكر السيوطي في ترجمة الخليفة العباسي المعتمد على الله أبي العباس: «وفي أيامه دخلت الزنج البصرة وأعمالها وأخربوها، وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا، وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات، وأمير عسكره في أكثرها الموفق أخوه، (..) واستمر القتال مع الزنج من سنة ست وخمسين إلى سنة سبعين، فقتل فيها رأس الزنج لعنه الله واسمه بهبوذ، وكان ادعى أنه أرسل إلى الخلق فردّ الرسالة وأنه مطلع على المغيبات. (..) وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة، وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن ويستخدمهنّ» (48).

6 - الفقيه المؤرخ أبوالفلاح عبدالحيّ بن العماد الحنبلي:

في أحداث 255 هـ ذكر ابن العماد: «فيها فتنة الزنج وخروج العلوي قائد الزنج بالبصرة فعسكر ودعا إلى نفسه وزعم أنه علي بن محمد (..) بن الشهيد بن زيد بن الحسين بن علي . ولم يثبتوا نسبه فبادر إلى دعوته عبيد أهل البصرة والسودان ومن ثم قيل الزنج والتف إليه كل صاحب فتنة حتى استفحل أمره واستباح البصرة وغيرها وفعل الأفاعيل وامتدت أيامه إلى أن قتل إلى غير رحمة الله في سنة سبعين» (49).

- وفي أحداث 259 هـ يقول ابن العماد: «كان طاغية الزنج قد نزل البطيحة وشق حوله الأنهار وتحصن فهجم عليه الموفق فقتل من أصحابه خلقاً وحرق أكواخه واستنقذ من النساء خلقاً كثيراً فسار الخبيث إلى الأهواز ووضع السيف في الأمة فقتل خمسين ألفاً وسبى مثلهم» (50).

- وفي أحداث 270 هـ: «وكان يصعد المنبر فيسب عثمان وعلياً ومعاوية وعائشة وهو اعتقاد الأزارقة، وكان ينادي في عسكره على العلوية بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يفترشهن وكان الخبيث خارجياً يقول لاحكم إلا لله وقيل كان زنديقاً يتستر بمذهب الخوارج وهو أشبه، فإن الموفق كتب إليه وهو يحاربه في سنة سبع وستين يدعوه إلى التوبة والإنابة إلى الله مما فعل من سفك الدماء وسبي الحريم وانتحال للنبوة والوحي فما زاده الكتاب إلا تجبراً وطغياناً» (51).

7 - الحافظ أبوالفداء ابن كثير:

يقول ابن كثير في أحداث 255 هـ: «خارجي آخر ادعى أنه من أهل البيت بالبصرة (..) زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يكن صادقاً وإنما كان عسيفاً ـ يعني أجيراً ـ من عبد القيس واسمه علي بن محمد بن عبدالرحيم» (52).

- في أحداث 270 هـ: «وانتهت أيام صاحب الزنج المدعي الكذاب قبحه الله.» (53).

- في أحداث 257 هـ: «كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة ثم يقول بعضهم لبعض: كيلوا - وهي إشارة بينهم إلى القتل- فيحملون عليهم بالسيوف فلا يسمع إلا قول أشهد أن لاإله إلاالله، من أولئك المقتولين وضجيجهم عند القتل - أي صراخ الزنج وضحكهم - فإنا لله وإنا إليه راجعون. هكذا كانوا يفعلون في كل محالِّ البصرة في عدة أيام نحسات، وهرب الناس منهم كل مهرب، وحرقوا الكلأ من الجبل إلى الجبل، فكانت النار تحرق ما وجدت من شيء من انسان أو بهيمة أو آثار أو غير ذلك، وأحرقوا المسجد الجامع. وقد قتل هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان والأدباء والفضلاء والمحدثين والعلماء فإنا لله وإنا إليه راجعون» (54).

هذه هي ثورة الزنج التي يدافع عنها العلمانيون ومن على شاكلتهم !! ثورة الخبز والفقر وتحرير العبيد!! إنها ثورة اللصوص وسفاكي الدماء.. نعتقد أن عقدة السادية المذكورة في علم النفس قد نسيها العلمانيون.. هذه العقدة التي تصيب الجبابرة والطغاة وأهل السفك والدماء وهم يتلذذون ويستمتعون بتعذيب الآخرين.. إنهم يضحكون ويقهقون وهم يسمعون صراخ وعويل الضعفاء والشيوخ وهم يصرخون بكلمة التوحيد.. أي قلوب هذه وأي ثورة هذه التي يدافع عنها العلمانيون ومن يتمسحون بالدين الإسلامي؟!! الايخجلون؟!!.

8 - المؤرخ أبوالحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي:

في أحداث 255 هـ يقول المسعودي في مروج الذهب: «وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة في خلافة المهتدي (..) وكان يزعم أنه علي بن محمد (..) بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأكثر الناس يقول: إنه دَعِيّ لأبي طالب ينكرونه وكان من أهل قرية من أعمال

الري يقال لها ورزنين، وظهر من فعله مادلّ على تصديق ما رُمي به من أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج؛ لأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لايستحق القتل يشهد بذلك عليه، وله خطبة يقول في أولها: الله أكبر الله أكبر، لا اله إلا الله والله أكبر، ألا لا حكم إلاّ لله.. وكان يرى الذنوب كلها شركاً» (55).

الناس يأكلون القطط والكلاب ويأكلون بعضهم:

يقول المسعودي: «ولماركن من بقي بالبصرة إلى هذا الفعل من المهلبي (أحد قواد صاحب الزنج بها) اجتمعوا في بعض الجمع، فوضع فيهم السيف، فمن ناج سالم، ومن مقتول، ومن غريق، واختفى كثير من الناس في الدور والآبار، فكانوا يظهرون بالليل، فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها، والفيران، والسنانير، فأفنوها حتى لم يقدروا منها على شئ، فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه، ويراعي بعضهم موت بعض، ومن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله، وعدموا مع ذلك الماء العذب.» (56).

– ويصف لنا المسعودي هول مالاقاه الناس من فتنة الزنج: «وذكر عن إمرأة أنها أحضرت امرأة تنازع ومعها أختها، وقد احتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلوا لحمها، قالت المرأة: فما ماتت حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها وأكلناها، ولقد حضَرتْ أختها وقد جاءت على النهر ونحن على مشرعة عيسى بن أبي حرب وهي تبكي ومعها رأس أختها، فقيل لها: ويحك!! مالك تبكين؟ قالت: اجتمعوا على أختي ما تركوها تموت موتاً حسناً حتى قطعوها، فظلموني فلم يُعطوني من لحمها شيئاً إلاّ رأسها هذا، وهي تشتكي ظلمهم لها في أختها، ومثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا» (57).

هذه ثورة الزنج!! ثورة الجياع!! التي أوصلت الناس إلى هذاالهوان.. ثورة الفقراء التي جعلت الناس يأكلون الفئران والكلاب بل ويأكلون لحوم ذويهم ويتعجلون وفاتهم!!

وهؤلاء العلمانيون وهم يدافعون عن هذه الجريمة البشعة التي ارتكبها الزنج في حق المسلمين بل في حق الإنسان !! ألا يستحون؟!!

نساء آل بيت يطؤهن عبد زنجي:

انظر إلى تحرير المرأة وحفظ كرامتها على أيدي الزنج وصاحبهم الملهم علي بن محمد!! يقول المسعودي: «وبلغ من أمر عسكره أنه كان ينادي فيه على المرأة من ولد

الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائرالعرب وأبناء الناس، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة، وينادى عليها بنسبها: هذه ابنة فلان الفلاني، لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون: يطؤهن الزنج، ويخدمن النساء الزنجيات، كما تخدم الوصائف، ولقد استغاثت إلى علي بن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه إلى غيره من الزنج أويعتقها مما هي فيه، فقال لها: هو مولاك وأولى بك من غيره.» (58)..

أهكذا يكون صاحب الزنج علوياً ينتسب إلى آل البيت وهو يمعن في إذلال نسائهم وهتك أعراضهم واسترقاقهن وهن الحرائر العفيفات.. ثم يأتي علمانيو هذا الزمان ويدافعون عنه وعن فتنته العمياء!!

لقد تعمدنا ذكر ما قاله المسعودي لعلمنا بتشيعه وميوله إلى العلويين والطالبيين وبغضه للعباسيين ولإطراء العلمانيين والمستشرقين عليه بصفة خاصة لهجومه على العباسيين!!..

ورغم ذلك ماذا ينتظر دعاة اليسار الإسلامي والعلمنة الإسلامية وماذا عسى العقلنة الإعتزالية أن تقول إزاء هذه الشهادات الدامغة من علماء الأمة على اختلاف مشاربهم وتباين عصورهم.. أعتقد أنهم سيرددون مقولتهم الشهيرة : إنها مؤامرة تاريخية كبرى!! وصاحب الزنج ضحية السلطة!!

9 - الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:

يقول الحافظ الذهبي في كتابه ‹ سير أعلام النبلاء › في ترجمة علي بن محمد تحت عنوان بدون ذكر اسمه «الخبيث: هو طاغية الزنج، علي بن محمد (..) افترى وزعم أنه من ولد زيد بن علي العلوي، وكان منجماً طرقياً ذكياً حرورياً ماكراً، داهية منتحلاً، على رأي فجرة الخوارج، يتستر بالإنتماء إليهم، وإلاّ فالرجل دهري فيلسوف زنديق. ظهر بالبصرة واستغوى عبيد الناس وأوباشهم فتجمع له كل لص ومريب، وكثروا، فشد بهم على أهل البصرة، وتم له ذلك واستباحوا البلد، واسترقوا الذرية، وملكوا، فانتدب لحربهم عسكر المعتمد، فالتقى الفريقان، وانتصر الخبيث، واستفحل بلاؤه، وطوى البلاد، وأباد العباد، وكاد أن يملك بغداد، وجرت بينه وبين الجيش عدّة مصافات، وأنشأ مدينة سمّاها : المختارة، في غاية الحصانة، وزاد جيشه إلى مئة ألف، ولولا زندقتُه ومروقُه لاستولى على الممالك» (59).

سبب خروجه ودعوته إلى فتنته:

يقول الذهبي: «بعد مصرع المتوكل وابنه وأولئك الخلفاء المستضعفين المقتولين، نقض أمرُ الخلافة جداً، وطمع كلُّ شيطان في التوثب، وخرج الصفّار بخراسان، واتسعت ممالكه، وخرج هذا الخبيث بالبصرة، وفعل ما فعل، وهاجت الروم وعظم الخطب» (60).

عقيدة ومبادئ صاحب الزنج:

يقول الذهبي: «وادعى أنه هو عبد الله المذكور في (قل أوحي إلي) [الجن:1] وزعم أن النبي صلى الله عليه سلم ما يمتاز عليه إلا بالنبوة» (61).

- «وزعم أنه تكلم في المهد، صيح به: يا علي! فقال: لبيك.» (62).

- «وكان يجمع اليهود والنصارى، يسألهم عما في التوراة والإنجيل من ذكره، وهم يسخرون منه، ويقرؤون له فصولاً، فيدّعي أنها فيه. وزاد من الإفك، فنفرت منه قلوبُ خلق من أتباعه ومقتوه» (63).

كان يدعي الزهد والتقشف وهو أبعد الناس عن ذلك:

يقول الذهبي: «ولم يجد لجيشه لمّا كثروا من بدّاً من أرزاق، فقرر للجندي في الشهر عشرة دنانير، فحسد قوادَه الفرسان، وشُغل بإنشاء الأبنية، وفتر عن الزنج، فهمّوا بالفتك به.» (64).

10 - العلامة عبدالرحمن بن خلدون:

«أخبار صاحب الزنج وابتداء فتنته كان أكثر دعاة العلوية الخارجين بالعراق أيام المعتصم ومابعده أكثرهم من الزيدية وكان من أئمتهم علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلاً بالبصرة ولما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمه علي بن محمد بن الحسين فقتل (..). و بعد أيام من قتله خرج رجل بالري يدّعي أنه علي بن محمد بن عيسى المطلوب وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين ولما ملك البصرة لقي علياً

هذا حياً معروف النسب فرجع عن ذلك وانتسب إلى يحيى قتيل الجوزجان (..) وقال الطبري وابن حزم وغيرهم من المحققين أنه من عبد القيس واسمه علي بن عبدالرحيم من قرى الري. ورأى كثرة خروج الزيدية فحدثته نفسه بالتوثب فانتحل هذا النسب، ويشهد لذلك أنه كان على رأي الأزارقة من الخوارج ولا يكون ذلك من أهل البيت» (65).

ويقول ابن خلدون: «واستنقذ العباس من نساء الكوفة وواسط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف وأعطى ما وجد في «المنصورة» من الذخائر والأموال للأجناد» (66).

11 - الشيخ محمد الخُضري:

يقول الشيخ الخضري في كتابه محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية: «ولم يكن يدري إلا الله ماذا تكون العاقبة لو انتصر هذا الرجل بزنوجه على آل العباس بأتراكهم كان الأمر ينتقل من أيدي الأتراك إلى أيدي الزنوج فتقع الأمة في الشر العظيم والوباء الوبيل لأن هؤلاء الزنوج ليس لهم أدب معروف بل لايكادون يفقهون قولاً فانتصار العباسيين عليهم خلاص للأمة من شر مستطير» (67).

صفوة القول

من خلال عرضنا الآنف نخلص إلى النقاط التالية:

- إن صاحب الزنج دَعِيُّ آل طالب كذاب ونسبه ليس بصحيح.. وأن اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم من بني عبد القيس.

- لوافترضنا صحة نسبه لآل البيت فإن هذا لايغني في دين الله.. فماذا فعلت قرابة أبي لهب وأبي جهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- أن صاحب الزنج لم يكن علوياً بل استغل ادعاء النسب لآل البيت لحب عامة الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأحفاده.. وليس كما ذهب أحمد عُلبي الذي يقول أن عقيدة الشيعة هي عقيدة عامة الناس.. وهذا خطأ، فعقيدة أهل السنة هي التي كانت سائدة ولازالت إلى وقتنا الحاضر والحمد لله.

- هب أنه علويّ صحيح النسب! فكيف يستقيم هذا مع رجل يسمح بإذلال نساء آل البيت وخاصة من أبناء الحسن بن علي رضي الله عنهم؟! كيف يسمح بانتهاك حرمة هؤلاء العفيفات/ كيف يسمح باسترقاق هؤلاء الحرائر من آل البيت وتباع بأوكس

الأثمان؟!! كيف يكون علوياً صحيح النسب وهو الذي كان يلعن علي بن أبي طالب من على المنبر ويأمر بذلك؟!!

– كيف يستقيم ادعاؤه أنه من العلويين وهو الذي قتل علي بن زيد صاحب الكوفة سنة 260 هـ.

– أما عن عقيدته فكان أشبه بالخوارج الأزارقة من قتل للنساء والأطفال والأشياخ واستحلال الفروج وكان يرفع نفس شعار الخوارج أيام التحكيم (لا حكم إلاّ لله)!! وإن كنا نميل إلى رأي الإمام الذهبي أنه كان زنديقاً لا خارجياً وعلوياً بل كان يتستر بهذين المذهبين لارتكاب الأفاعيل والجرائم في حق المسلمين.

– كان هذا الخبيث يزعم أنه نزل عليه الوحي وأنه خوطب من الملائكة «إنما البصرة خبزة لك تاكلها من جوانبها»!!

– ادعاؤه أنه رأى طيوراً بيضاً حاربت معه.

– ادعاؤه أنه عرضت عليه النبوة فأباها «لأن لها أعباء خفت ألاّ أطيقها»!!

– إن صاحب الزنج شخص مغامراستغلالي طموح ، استغل حالة الفوضى التي حلت بأرض الخلافة بعد مقتل بعض الخلفاء وليس كما زعم فيصل السامر وعُلَبي ومحمد عمارة وغيرهم فلم يكن يدور في خلد هؤلاء الزنوج التقسيم الذي أفرزته الثورة البلشفية للمجتمعات من بروليتارية عمال وفلاحين.. وبرجوازية أصحاب رؤوس الأموال والأملاك والإقطاعيين وأهل الحكم.. لم تكن هناك أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية وجيوسياسية وغير ذلك من تحليلات لم يسمع عنها أصاحب الزنج ولا أتباعه، فماحدث إلاّ حالة من الفوضى لرجل زنديق موتور استغل أعجمية هؤلاء الزنوج وعدم فهمهم للغة العربية مع وجود عدد كبير من الأعراب وقطاع الطريق والهاربين من الأحكام هؤلاء المطاريد هم جند أصحاب الزنج!! فلم يكن عند صاحب الزنج معتقد واضح ولا برنامج محدد، بل كلها شعارات لتهييج هؤلاء العبيد بأن يملكهم أرض مواليهم ويحررهم.. ولم يحدث وكذب عليهم واستمروا في الرق في فترة حكمه بل زاد في الرّق بأن استرق الحرائر والأحرارمن المسلمين!!

– نلاحظ أن عنصر الزنج لم يشترك في هذه الفتنة إلابعد سبع سنوات من بدء دعوة علي بن محمد هذا إلى دعوته سنة 249 هـ فأول زنجي انضم سنة 255 هـ وكان كل أتباع هذا الدّعي من الأعراب، الذين كانوا يهددون قوافل الحجاج ويأوون اللصوص والهاربين من الأحكام. حتى بعد انضمام الزنج فإن معظم قوّاده كانوا من هؤلاء الأعراب، وكان الزنج عبارة عن جيش من المرتزقة، سرعان ماانقلبوا عليه وهربوا منه لمّا تيقنوا كذبه

وبجله.

– جيش الخلافة الذي كان يحارب الزنج كان به فرق زنجية كاملة وكانت تحارب بإخلاص وبسالة ضد جيش صاحب الزنج.. لم يلتف هؤلاء العبيد حول الثورة المنشودة ثورة الخبز والفقر التي تخلصهم من رق العبودية؟!!

– إذا كان هناك بطل لهذه الفتنة فإنه أبوأحمد الموفق أخو الخليفة العباسي المعتمد وكذلك ابنه العباس الذي صار خليفة المسلمين وتلقب باسم (المعتضد بالله).. هؤلاء هم أهل الثناء والإشادة بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.. هذا هو الأنموذج الذي يقدم لأمتنا أخلاق أولاد الأنبياء.. أما الأنموذج الذي يقدمه لنا العلمانيون ويتباكى عليه اليسار الإسلامي ومن على شاكلتهم فهو الأنموذج الملفوظ وهو الصورة القبيحة الدامية التي تعجب الماركسية الحمراء.. هؤلاء العلمانيّون خيالهم خصب، ويسبحون في أوهام صنعها لهم مسينون وبروكلمان، والتاريخ يكذبهم جميعاً ورغم ذلك يتبجحون.. ويدافعون عن القتلة والسفاكين ومنتهكي الأعراض وقتلة الأطفال والشيوخ.. ويقولون إنها مؤامرة تاريخية كبري.. (فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)..

والحمد لله رب العالمين

الهوامش :

(1) الكاتب المصري مايو1946 ص 553، 573.. ونشر تلك المقالة في كتاب ألوان لطه حسين – دار المعارف – مصر ص 164 ، 187.

(2) ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد – أحمد علبي – دار الفارابي بيروت – ط جديدة 1991م ص10.

(3) السابق ص 170، 171.

(4) الثابت والمتحول – أدونيس – دار الساقي – لندن – ص67.

(5) شخصيات غير قلقة في الإسلام – هادي العلوي – دار الكنوز الأدبية – ط أولى – 1995م – بيروت – ص 214، 215.

(6) مسلمون ثوار – د. محمد عمارة – دار الشروق – القاهرة ط ثالثة – 1988م ص197.

(7) السابق ص235.

(8) السابق ص 201.

(9) السابق ص 203 / 204.

(10) شخصيات غير قلقة ص 224.

(11) السابق ص 222.

(12) مسلمون ثوار ص 198 / 199 .
(13) ثورة العبيد في الإسلام -أحمد علبي - دارالآداب - بيروت - ط 1985م ص16 .
(14) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - الرشاد الحديثة - الدار البيضاء دار ج1ص69 .
(15) شخصيات غير قلقة ص 224.
(16) ثورة الزنج - أحمد علبي ص134 .
(17) تاريخ الأمم والملوك: ابن جرير الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة - ط رابعة - ج9 ص 410.
(18) السّابق ج9 ص 410.
(19) السّابق ج9 ص 410.
(20) السّابق ج9 ص 411 / 412.
(21) السّابق ج9 ص 412.
(22) السّابق ج9ص 414.
(23) السّابق ج9 ص 422.
(24) السّابق ج9 ص 481.
(25) السّابق ج9 ص 481.
(26) السّابق ج9 ص 482.
(27) السّابق ج9 ص 553.
(28) السّابق ج9 ص 613.
(29) السّابق ج9 ص 564.
(30) السّابق ج 9 ص581.
(31) السّابق ج9 ص 588.
(32) السّابق ج9 ص 625.
(33) السّابق ج9 ص641.
(34) السّابق ج9 ص 641.
(35) السّابق ج9 ص 648.
(36) السّابق ج9 ص608.
(37) السّابق ج9 ص 608.
(38) السّابق ج9 ص 649.
(39) السّابق ج9 ص 660.
(40) السّابق ج9 ص663.
(41) المنتظم في أخبار الملوك والأمم - أبو الفرج بن الجوزي - دار الكتب العلمية بيروت - ط أولى 1992م ج/12ص 88.
(42) المنتظم ج12 ص 228.
(43) الكامل في التاريخ - ان الأثير - دار صادر- بيروت - مج7 ص 245 ،246.
(44) الكامل - ج 7 ص344.
(45) النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة - ان تغري بردي - دارالكتب العلمية - بيروت - ط أولى 1992م - ج3 ص27.
(46) النجوم الزاهرة ج3 ص60 / 61 .
(47) تاريخ الخلفاء - جلال الدين السيوطي -- دار الكتب العلمية - بيروت - ط أولى 1988م - ص 291.
(48) شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد - دار الفكر ج 3 ص 129، 130 .
(49) شذرات الذهب - ج3 ص 139
(50) شذرات الذهب - ج3 - ص 156 .
(51) البداية و النهاية - دارالكتب العلمية -- بيروت ط أولى 1985م - ج 11 ص 21.
(52) البداية والنهاية - ج11 - ص 48.
(53) البداية والنهاية - ج11 - ص 48.
(54) البـداية والنهـاية ج11 ص32.

(55) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ـ المكتبة الإسلامية ـ بيروت ـ ج7 ـ ص 194 / 195 .
(56) المسعودي ـ ج 7 ص307 .
(57) المسعودي ـ ج 7 ص 307 / 308 .
(58) المسعودي ج 7 ص308 .
(59) سير أعلام النبلاء ـ الذهبي ـ مؤسسة الرسالة بيروت ـ ط ثانية 1984م ـ ج13 ص 129 / 130 .
(60) سير أعلام النبلاء ـ ج13 ص 134 .
(61) سير أعلام النبلاء ـ ج13 ص 134 .
(62) سير أعلام النبلاء ـ ج13 ص 134 .
(63) سير أعلام النبلاء ـ ج13 ص 134 / 135 .
(64) سير أعلام النبلاء ـ ج13 ص 135 .
(65) تاريخ ابن خلدون ـ عبدالرحمن بن خلدون ـ مؤسسة الأعلى للمطبوعات ـ بيروت ـ ج3 ص302.
(66) السّابق ص 321.
(67) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلاميّة (الدّولة العبّاسيّة) – محمد الخضري بك – دار المعارف بيروت – ص 305.

دراسة التاريخ :

... تطبيق المنهج الشّمولي في كتابة (التّاريخ) و (السّيرة)، المنهج الذي يسعى إلى إحياء الموقف التّاريخي، ويستهدف النّظرة الكليّة للأحداث والحركات والأشياء، ويخترق الجدران الخارجيّة للوقائع صوب ساحات الرّوح والوجدان، ويرى في التّاريخ حركة حياة دائمة لا أحداثا متقطّعة، ويبحث عن التّوافق الذي يسود العلاقات بين الإنسان وبين الأرض التي يتحرّك عليها ويسعى فوقها المنهج الذي يوضّح للنّاس كم هي عظيمة نتائج اللّقاء بين السّماء والأرض، وكم هي خطيرة حاسمة معطيات رجل أو جماعة أو أمّة تتلقّى عن الله وترفض التّلقّي عن العبيد، المنهج الذي يقول لهم ما يجب عليهم أن يعملوه إزاء كلّ مطالعة أو بحث في التّاريخ.

والإلتزام التّاريخي بمفهومه الجاد هو هذا: أن يبعث في نفوس النّاس الفهم الصّحيح لما يحيط بهم من قوانين وسنن وأحداث، سبقتهم أو عاصرتهم أو ستجيء فيما بعد، وأن يفجّر فيهم الرّغبة في الحركة، والسّعي الجاد لإعادة توجيه القوانين والعلاقات والأحداث وفق منطق المعمار الكوني القائم على التّوافق والإنسجام، وأنّ يبعث في قلوبهم الحرص على صياغة العالم من جديد على ضوء ما يقدّمه لهم التّاريخ من تعاليم، ومن ثمّ يفقد التّاريخ الكثير من قيمته إن ظلّ أسير المناهج التي استعبدته طويلا: سردا ميّتا للأحداث، وتكديسا آليّا للنّصوص، ونظرات مبعثرة للوقائع، ولا يشدّها خيط، ولا يضمّها إطار؛ وتجميدا قاسيا للحركة والحيويّة اللّتين تكمنان في صيرورة التّاريخ.

إنّ تاريخنا الإسلامي بالذّات بحاجة أكثر إلحاحا إلى تطبيق منهج حيوي ملائم في دراسته، منهج يمتلك من الإمكانات ما يستطيع بواسطتها أن يتوغّل إلى أعماق هذا التّاريخ ويستبطن معناه، ويحلّل منعطفاته، ويحدّد معالمه الرّئيسيّة، ويستكنه الأهداف التي كان –ولا يزال– يصبّ طاقاته في بحرها الكبير. إنّ هذا التّاريخ يتميّز عن غيره أساسا لأنّه يمثّل أوسع وأعمق تعبير عن واقعة تاريخيّة تنبثق عن دين عظيم وحضارة يصوغها لقاءٌ خلاّقٌ بين قوى السّماء والأرض.

« ملامح الإنقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز »

د. عماد الدّين خليل

رسالة من زوجة أسير

نَشَرت هذه الرّسالة المؤثّرة نَشْرة ‹كلمة حق› التي يصدرها المكتب الإعلامي لجماعة الجهاد بمصر، بتاريخ 18 محرّم 1418 هـ / 25 ماي 1997 م. ونظرا لأهمّية هذه الرّسالة التي تُصوّر واقع إخواننا المتردّي في سجون المرتدّين، ونظرا لأنّها تُصوّر حالة من حالات عديدة لعائلات المجاهدين في بلادنا، رأينا أن ننشرها كاملة عسى أن تُثير في أنفسنا شيئا من الشّعور والإهتمام بجراحات إخواننا وأخواتنا اللّواتي يصرخن ويستنجدن ليلا ونهارا: "من ينقذنا من ينصرنا؟!"..

رُبَّ وَا مُعتصماه انطلقت ... ملء أفواه الصّبايا اليُتّمِ

لا مست أسماعهم لكنّها ... لم تلامس نخوة المعتصمِ

فهل من معتصم يُعِيد لهؤلاء عزّتهم وكرامتهم؟

نص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، لا أعرف من أين أبدأ، فإلى الله المشتكى، إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وحده. ولكن أردت أن أستحث نخوة المسلمين لكي يفعلوا شيئاً أيّ شئ حتى ولو الدعاء، لإخوانهم المعتقلين بأن يفرج الله كربتهم ويفك أسرهم.. وحتى لا أطيل أوجز صرختي في هذه الكلمات:

لقد اعتقل زوجي بتهمة الإسلام منذ سنوات، ولم نعرف عنه شيئاً حتى علمنا بوجوده في سجن (الوادي الجديد)، وفرحنا وفرح صغيري الذي جاء إلى هذه الحياة وأبوه في المعتقل.. وصار الآن يتكلم ويسألني عن أبيه، أين ذهب!! فأجيبه: بكرة سيعود إن شاء الله.. ومتى يأتي بكره وما هو بكره .. وجدّي يقول أيضاً بكرة فلماذا لا يأتي أبي مع بكره؟.. وأراه يكثر السؤال وأنا أدفع دمعتي حتى لا يسألني لم البكاء؟! فأحبسها خشية السؤال.. وكم من الأعياد والمناسبات مرت علينا وصغيري يسألني عن أبيه وهل سيعود ببدلة العيد كما أخبرته في العيد الماضي. وهل سيأتي بلعبته في العيد القادم! ولماذا لا

يفطر معنا في رمضان؟! حديث مكرر يومي .. لا يمل الطفل من تكراره وأنا لا أمل من سؤاله!!

وذهبنا نسأل عن مكان سجن (الوادي الجديد) فعرفنا أنه في جنوب مصر.. وبدأت رحلة الزيارة جهزنا الطعام وبعض الملابس لزوجي وركبنا سيارة مع بعض الجيران وأهالي المعتقلين في نفس السجن، واصطحبت صغيري معي لكي يراه أبوه.. ووصلنا في اليوم التالي عبر رحلة شاقة إلى صحراء موحشة تحتضن سجناً كئيباً.. نمنا في الطريق، ووصلنا عند بوابة السجن حتى قالت لنا ادراة السجن: سجلوا أسماءكم.. ففعلنا.. وانتظرنا وطال الإنتظار.. وأخيراً أجابنا شاويش بكل بساطة وبكل استهتار.. الزيارة بعد شهرين.. فأصابنا غم وحزن وضجرنا من هذا الظلم والتعنت..

وبعد شهرين كررنا نفس الرحلة إلى نفس السجن الكئيب، ثلاث ليال ذهاب وعودة، بالإضافة إلى قرابة ثلاثمائة جنيه تكلفة الزيارة الواحدة، بأجرة السفر.. والله يعلم كم من الأخوات لا يستطعن زيارة أزواجهن بسبب قلة ذات اليد فَمَنْ مِنْ الأهالي يستطيع أن يدفع هذا المبلغ كل زيارة.. والله يعلم كم نحن في حاجة إلى هذا المبلغ لسداد إيجار الشقة الشهري بالإضافة إلى المأكل وتكاليف الحياة والدواء وغير ذلك.. ولكن الله سهل أمر الزيارة .. وسافرنا في اليوم المحدد ومكثنا طويلاً.. وجلسنا على الأرض ننتظر السماح لنا بالدخول وأثناء ذلك رأينا عربات اسعاف تدخل السجن وتذهب بسرعة فعلمنا أنه قد تم نقل أكثر من ثلاثمائة أخ إلى المستشفى بسبب سوء الحالة الصحية وانتشار مرض السل وأن بعض سيارات الإسعاف تحمل جثث الإخوة إلى المشرحة أو من حالتهم خطيرة حتى لا يموت في السجن، فارتجفت قلوبنا وتمنينا سرعة الدخول حتى نطمئن على زوجي وعلى إخوانه المعتقلين وفي النهاية نادوا علينا ودخلنا وليتني ما رأيت، ليتني متّ قبل أن أرى زوجي في مثل هذا العذاب المهين.. تصوروا أيها المسلمون رأيت زوجي يدخل حجرة الزيارة على أربع مثل الحيوانات.. تصوروا خيرة شباب المسلمين كان يسوقهم مخبرٌ حقير ويأمرهم بالسير على أربع مثل الحيوانات، لم يتمالك الأهالي أنفسهم وأجهشنا في البكاء والصراخ، ورأيت بنفسي أحد الرجال جاء من سفر بعيد لكي يزور أخاه فلما رآه على هذه الحال وعبر هذه الأسلاك السوداء أغمي عليه، وظل يبكي طول الطريق أثناء العودة.. هل تتصورون أن ترى زوجةٌ زوجَها يدخل عليها حافياً بملابسه الداخلية وآثار التعذيب على جسده، وهي لم تره منذ سنوات، وهل تتصورون كيف كان شعورُ ابني وهو يرى أباه على هذه الحال.. أيّ ذل هذا، أيّ امتهان لكرامة الإنسان بعد هذا.. ورغم كل ذلك تمالك زوجي وإخوانه أنفسَهم وهم يبتسمون ابتسامة الذبيح، ورغم

ذلك لم يستسلموا لهؤلاء الطغاة.. وبعد خمس دقائق من بداية الزيارة المشؤومة سمعنا صفارة أطلقها مخبر في صورة شيطان.. فإذا بي لم أر زوجي ولا إخوانه المعتقلين أمامي.. ودهش الأهالي أين اختفوا أين راحوا هل ابتلعتهم الأرض.. ثم مددنا أعناقنا لنرى ما حدث فإذا بزوجي والإخوة يجلسون على أربع ويزحفون كالدواب كما دخلوا لكي يعودوا إلى الزنازين ونحن نسمع صراخهم وأصوات المجرمين الذين يشتمونهم بأبشع الألفاظ، وهم يعلمون أننا نسمعهم.. خرج الأهالي في ذهول، الكل يبكي الكل ينظر إلى السماء: وسمعت والد أحد الإخوة وكان عجوزاً: وهو يبكي يقول: يارب عليك بالظالم يارب.. ويكررها كثيراً بصوت عال.. وكل الأهالي في حيرة إلى متى يارب.. إلى متى؟! زوجي وخيرة شباب مصر في السجون يعذبون ويموتون.. لماذا هذا السكوت الرهيب من أمة الإسلام.. فيا أمة الإسلام هل مُتِّ؟! ياأمة الإسلام هل ضعتِ؟! أبناؤك يموتون في سجون الطواغيت.. مَنْ ينقذهم من يحررهم.. اللهمّ إنك تعلم أنني امرأة ضعيفة، حُرِمَ ابنها من أبيه.. اللهمّ إن زوجي وإخوانه يموتون في سجون حسني مبارك، اللهمّ قد تخلى عنهم رجالُ المسلمين.. اللهمّ لا حول لنا ولا قوة إلا بك ..اللهمّ قد تخلّى عن نجدتهم وفك أسرهم رجال المسلمين.. اللهمّ أرنا آية من عندك تفك بها أسر زوجي وإخوانِه.. وحسبنا الله ونعم الوكيل» .....

إمضاء:

زوجة أسير

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا	إِلاَّ بَقِيَّةُ دَمْعٍ فِي مَآقِينَا
كُنَّا قِلادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فَانْفَرَطَتْ	وَفِي يَمِينِ العُلاَ كُنَّا رَيَاحِينَا
كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي العِزِّ شَامِخَةً	لاَ تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلاَّ فِي مَغَانِينَا
وَكَانَ أَقْصَى مُنَى نَهْرِ (المَجَرَّةِ) لَوْ	مِنْ مَائِهِ مُزِجَتْ أَقْدَاحُ سَاقِينَا
وَالشُّهْبُ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مُسَخَّرَةً	لِرَجْمِ مَنْ كَانَ يَبْدُو مِنْ أَعَادِينَا
فَلَمْ نَزَلْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنَا	شَزْراً وَتَخْدَعُنَا الدُّنْيَا وَتُلْهِينَا
حَتَّى غَدَوْنَا وَلاَ جَاهٌ وَلاَ نَشَبٌ	وَلاَ صَدِيقٌ وَلاَ خِلٌّ يُوَاسِينَا

حافظ إبراهيم ـ « الديوان ».

رسالة الأخت ‹من زوجة أسير› التّي أصدرتها جماعة الجهاد - مصر، وهي المنشورة في الصّفحات السّابقة، بعثت في نفوس الإخوة الأغيار مشاعر الحزن والغضب، وهي بحقّ تكشف لعنة الله تعالى على هؤلاء الطّواغيت أعداء الدّين في بلاد المسلمين، هذه الرّسالة بعثت في نفس الشّيخ/ أبي الوليد الأنصاري مشاعر سطّرها قصيدة طيّبة تنمّ عن معايشة معاني حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى».

رجع الصدى

قصيدة للشّيخ:
أبي الوليد الأنصاري

أُخْتَاهُ صَبْراً فَالجِهَادُ سَبِيلُ — وَالنَّصْرُ آتٍ والطُّغَاةُ تَزُولُ

هذِي خُيُولُ القَوْمِ تَسْبِقُ نَقْعَهَا — رَجْعُ الصَّدَى تَكْبِيرُهُمْ وَصَهِيلُ

والسُّمْرُ تعْسِلُ لَوْ رَأَيْتِ نِصَالَهَا — كَالشُّهْبِ تُرْمَى والظَّلَامُ ثَقِيلُ[1]

عَضُّوا النَّواجِذَ قَدْ بَدَتْ أَحْدَاقُهُمْ — تَحْتَ المَغَافِرِ كَاللُّيُوثِ تَصُولُ

وَسُيُوفُهُمْ كَالرَّعْدِ وَقْعُ صَلِيلِهَا — والبَرْقُ مِنْهَا خَاطِفٌ وخَتُولُ[2]

فَالسَّيْفُ للهَامَاتِ يَنْثُرُ عِقْدَهَا — حَتَّى يُخَضَّبَ والدِّمَاءُ سُيُولُ

هُمْ صُبَّرٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ شَوَامِخٌ — إِخْوَانُ صِدْقٍ فِتْيَةٌ وكُهُولُ

---

(1) السُّمر: الرّماح، وتعسل الرّماح عسلا إذا اشتدّ اهتزازها. والشُّهْب: سكّنت للضرورة.

(2) الختل: من ختل الذئب الصّيد إذا خدعه.

هُمْ مُضْرِمُوا الهَيْجا عَصَاقِيلُ الوَغَى ... أَبْنَاءُ خَالِدَ عَزْمُهُمْ مَسْلُولُ[1]

أُخْتَاهُ قَدْ حَلِبَتْ صُرَامُ فَمَا لَنَا ... إلاَّ الأَسِنَّةُ مَرْكَبٌ مَبْذُولُ[2]

الكُفْرُ يَعْبَثُ والحَرَائِرُ تَشْتَكِي ... والقُدْسُ تَصْرُخُ والنَّخِيلُ ذُبُولُ

مَاذَا دَهَى قَوْمِي..؟ أَيُسْلَبُ حَقُّهُمْ..؟! ... يَالَلْعُقُولِ أَصَابَهُنَّ خَبُولُ

لا تَعْدَمُ الخَرْقَاءُ عِلَّةَ بَاطِلٍ ... أَمَّا الكَرِيمُ فَبِالقَنَا مَقْتُولُ[3]

لا عِشْتُ إِنْ عَاشَ الهَوَانُ بِأَرْضِنَا ... إِنَّ الهَوَانَ بِأَرْضِنَا لَدَخِيلُ

لَيْسَ المَكَارِمُ عَيْشَ يَوْمِ خُضُلَّةٍ ... أَوْ غَادَةٌ أَوْ أَنْ تُدَارَ شَمُولُ[4]

لَكِنَّهَا خَوْضُ الغِمَارِ مُجَاهِداً ... صِدْقَ اللِّقَا أَوْ لاَ يَكُونَ قُفُولُ

وتَقَابَلَ الجَمْعَانِ جُنْدُ مُحَمَّدٍ ... والكُفْرُ يَلْوِي أَخْدَعاً ويُمِيلُ[5]

يَنْأَى بِجَانِبِهِ ويَثْنِي سَامِداً ... عُطُفَ الجُمُوعِ ومَا بِهِنَّ وُشُولُ[6]

وتَوَغَّلَ الآسَادُ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ ... والنَّارُ تَقْدَحُ والنِّسَاءُ عَوِيلُ

وتَنَزَّلَ النَّصْرُ المُبِينُ فَمَا يُرَى ... إلاَّ الصَّرِيعُ وهَارِبٌ مَخْذُولُ

أُخْتَاهُ بُشْرَى فَاصْبِرِي لِنَوَالِهَا ... إِنَّ الصَّبُورَ بِفِعْلِهِ لَجَمِيلُ

فَالشَّمْسُ تَطْلُعُ بَعْدَ طُولِ غِيَابِهَا ... لِيَزُولَ لَيْلٌ ظَالِمٌ مَخْسُولُ[7]

---

(1) العصاقيل: الأعاصير.

(2) حلبت صُرام: مثل يُضرب إذا بلغ العذر آخره.

(3) لا تعدم الخرقاء علّة: مثل يُضرب في النّهي عن المعاذير، معناه العلل كثيرة تحسنها الخرقاء فضلا عن الكيّس فلا ترضوا بها.

(4) يوم خُضُلّة: يوم نعيم، والشّمول على وزن صبور: الخمر.

(5) الأخدع عرق في المحجمتين وهو شعبة من الوريد، يقال للمتكبّر يلوي أخْدَعَه.

(6) سامدا: سمد فلان أي رفع رأسه تكبّرا وصدّ وأعرض. وعُطُف: جمع عِطْف ومنها قوله تعالى: (ثاني عطفه). والوشول: قلّة النّفع والغناء.

(7) مخسول: خسيس مرذول وكذا بالخاء المعجمة.

رسائلكم ✉ ✉ ✉ وصلت..

من المحرّر إلى القارئ

أخي القارئ..

إنّ فنّ صياغة الأفكار وإظهارها للنّاس.. ليس بذلك الأمر الهيّن الذي يستطيع أن يتقنه كلّ من أخذ قلما وقرطاسا، وخطّ حروفا وكلمات جمّل طَرِيقَةَ رَصْفِهَا ونحتها.. وإنّ تبليغ الفكرة لا يمرّ إلاّ عن طريق الكلمة.. وكلّما كانت الفكرة واضحة في ذهن صاحبها كلّما سهل عليه إيجاد المفردات والألفاظ -الكلمة- المناسبة لإيصالها للغير.. لكنّها -الفكرة- ربّما تصل إليه مشوّهة إذا فقدت الكلمة عنصرا من أهمّ عناصرها بل العنصر الذي تقوم عليه أصلا ألا وهو الإخلاص الذي من نتائجه القبول عند متلقّيها..

كم يسعدنا أخي القارئ أن تجد كلماتنا صدًى لديك وقبولا عندك، فأنت تعلم كلّ العلم أنّنا ما قمنا إلاّ لأجلك وما كتبنا الذي كتبنا إلاّ لتبليغك مبادئنا ومناهجنا وأفكارنا التي نعتقد أنّها الحقّ والصّواب، والتي ندين الله بها، والتي نحبّ لك أن تعلمها وتتفاعل معها..

إنّنا لنحمد الله تعالى على القبول الذي وجدته مجلّتك ‹المنهاج› لديك.. ولكن نريد منك -أخي القارئ- أن تعلم أنّ سعادتنا لا تكتمل بالمديح والإطراء الذي تلقّيناه عبر الرّسائل والإتّصالات الهاتفيّة فقط، بل إنّ سعادتنا لن تكون إلاّ إذا كانت كلماتنا قد لقيت القبول والرّضا الإلهي، ثمّ إذا تلقّينا منك رسائل تنقد ولا تمدح وتطري.. لأنّنا نعتقد أنّ كلّ محاولة لتمرير الأحداث أو المواقف أو الأفكار دون اعتبار لرأي الآخر ونقده والمرتكزات الشّرعيّة والعقليّة لهذه المخالفة أو النّقد إنّما هي معول هدم في مسيرة العمل الإسلامي عموما، ومسمار نعش في مسيرة هذه المجلّة خصوصا.. عافى الله الجميع.

فمدحك أخي للمجلّة لن يكون فعّالا إذا لم يكن في إطار النّقد العلمي البنّاء، ذلك النّقد الصّادر من أنفسنا -وأنت أخي القارئ من أنفسنا- لأنفسنا..

إنّنا -أخي- نحبّ لكلّ مسلم أن يتجرّد من خلعة الإمّعية، وأن يرقى بفهمه وسلوكه

عن الرّضا والقبول بكلّ ما يقدّم له في السّاحة..

إنّنا نحبّ لك أن تكون صاحب موقف ورأي وسلوك ينبثق عن حركة الوعي التّى نسعى إلى تقديمها لك من خلال هذه الكلمات..

إنّنا نحبّ منك -أخي- أن توجّه لنا نقدك المشتمل على التّصويب والتّأييد والتّأكيد والتّوجيه: تصويب لرأي، أو تأييد لفكرة، أو تأكيد لموقف، أو توجيه لخاطرة..

نحبّ منك أن تساهم معنا في نشر هذا ‹المنهاج› القويم -الذي زاغ عنه كثيرون- لتشاركنا الأجر والثّواب -إن شاء الله-، أجر الدّعوة وتبيين الحقّ للنّاس، و «الدّالّ على الخير كفاعله».

المحرر

....

وصل إلى بريد المجلّة العديد من الرّسائل والتي نشكر لأصحابها مشاعرهم الفيّاضة التّي حملتها كلماتهم والتّي تنبئ عن مدى تجاوبهم مع ما يطرح في المجلّة من مواضيع.. ونظرا لضيق المساحة وكثرة المادّة المنشورة في هذا العدد سنقتصر على نشر رسالة الأخ طارق أبي إسماعيل التّونسي، ومقتطفات من رسالة الأخت س. ز.، ونعد إخواننا بأن ننشر رسائلهم ومساهماتهم في أعداد قادمة ما سنحت الفرصة إن شاء الله تعالى..

وإلى نصّ رسالة الأخ طارق :

بارقة أمل تشقّ دياجير مرحلة قاتمة من تاريخ أمّتنا الإسلاميّة، متحملة أمانة الذّبّ عن المحجّة البيضاء، بعد أن خرست الأقلام وتكلّفت العبارات واصطنعت المقالات، فلم يعد لها في قلب المؤمن مثقال حبّة من خردل، وتعطّشت الأنفس لمعين روح الإيمان بعد فترات من الإرتكاس والخذلان وإفراز لآلام مؤلمة مزّقت جسد أمّتنا الإسلاميّة كلّ ممزّق، حيث تداعت عليها أمم الكفر والضّلالة لإخماد جذوة أهل التّوحيد، فرحل عنّا خيرة أبناء هذه الأمّة بالتّقتيل والتّغييب، وملئت سجون الطّواغيت وشرّدت عائلات ولم تجد من يواسيها، وتواصل نزيف أمّتنا دون أن تجد من يداويها... فتنكّر البعض للبعض، وتبرّأ الواحد من الآخر، وتقوقع فريق آخر على نفسه، وخيرهم إيمانا ردّدوا: صبرا أهل البلاء، فإنّ موعدكم الجنّة.. وركب آخرون صهوة جواد المجد السّياسي على سلّم أشلاء المخلصين، وآهات المحتاجين، وتصدية ومكاء المتربّصين..

آلام أصبح الحليم فيها حيرانا لا يدري أيّ الفريقين أحقّ بالصّواب، وسقط الجلّ في شراك فتنة الشّبهات التي قال فيها الإمام ابن القيّم رحمه الله: «... وهذه الفتنة تنشأ من

فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حقّ ثابت خفي على الرّجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متّبع، فهي من عمًى في البصيرة، وفساد في الإرادة» ‹إغاثة اللّهفان 166/2›...

فلتكن ‹المنهاج› صارما بتّارا على أعداء هذا الدّين، وهاديا مرشدا لعباد الله المؤمنين، ولتذكر من عثرات السّابقين، وليكن أصحابها في مستوى أمانة هذا الدّين وليعلموا علم اليقين أن لا مصداقيّة ولا ديمومة للعمل إلاّ بالإخلاص ونصرة عباد الله المجاهدين الذين يقدّمون أرواحهم ودماءهم في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله (حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين كلّه لله) [الأنفال 32]..

مقتطفات من رسالة الأخت س. ز.:

فتن كقطع اللّيل المظلم تلفّنا.. تحيط بنا من كلّ جانب.. أين النّجاة منها؟.. أين الإفلات من قبضتها؟.. أصبح الواحد منّا يخشى ضياع أثمن وأعزّ ما هاجر من أجله.. ما ترك الأوطان إلاّ للحفاظ عليه.. ربّاه لطفك.. ربّاه عفوك.. ربّاه ثبّتنا على ديننا.. ربّاه لا تفتنّا في ديننا.. ربّاه، ربّاه، ربّاه...

هذه كلمات تنسلّ من صدر مكلوم.. من نفس ضاقت عليها السّبل.. فتن يشيب لها الولدان.. فتن تقف في وجه كلّ من حمل همّ هذا الدّين.. همّ إعادة العزّة لنا.. لديننا.. لإخواننا في سجون المرتدّين.. لأخواتنا المكلومات اللّواتي ينتظرن صيحات التّكبير تحمل معها بريق الفرج.. حلاوة النّصر.. لا يشعر بهذه الفتن إلاّ من أحسّ أنّه عضو من جسد الأمّة.. إلاّ من أصبح يعيش ليله ونهاره.. صمته و كلامه.. أثناء أكله ومشربه.. عند جوعه وشبعه.. يعيش واقع المسلمين.. معاناتهم.. آلامهم.. أحزانهم.. أفراحهم (وما أقلّها!!)..

كنّا بالأمس سادة.. ما بالنا اليوم صرنا عبيدا؟..
كنّا بالأمس أعزّة.. ما بالنا اليوم صرنا صاغرين؟..
كنّا بالأمس أغنياء.. ما بالنا اليوم نتكفّف الكفرة؟..

ربّاه متى تنزاح عنّا هذه الغمّة؟ ربّاه متى ستعود إلينا أمجادنا؟.. (لا يغيّر الله ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم).. فهمتُ ربّي.. علمتُ ماذا تريد منّا..

(فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم).. ربّاه إنّي أحبّك وأحبّ دينك.. ربّاه لا تحرمنا من فضلك.. وارزقنا عملا يرضيك عنّا.. آمين.

الفهرس

المجلّة

تعبّر عن رأي كاتبها.

وهي ملزمة بكلّ ما يكتب فيها.

وهي بهذا تعبّر عن موقف المسلم في

فهمه لقضايا الدّين والعصر ولذا تدعو الإخوة الأحبّة

أن يمدّوها بما لديهم من مشاركات علميّة ودعويّة وفكريّة

ومنهجيّة وأدبيّة تخدم ما تحمله من منهج وهدف. وسيجد الإخوة

في هذه المـجلّة طريقـهم المفـتوح إذا أغلقت أمـامـهم السّـبل

والله الموفق





ترسل المقالات والتّبرّعات على عنوان المجلّة

وللإستفسار عن المجلّة الرّجاء الإتّصال على هذا الرّقم :

☎ 00 956 448 397

السّعر 2 جنيه إسترليني أو ما يعادلها